الضمير العلمي

ما كان مؤتمر الكبار الاربعة في جنيف ، على حقيقته ، الا صدى تحذير العلماء من خطر الذرة المخيف المحيط بالانسانية .

هذا المارد الجبار الذي طلع من القمقم العجيب ولا سبيل بعد الى ردّه ، حتى اصبحت الانسانية ، وكأنها ، على كف عفريت ، تتأرجح في مقدرات الفناء او البقاء . فأما ان تكون الذرة طريقا الى خير الارض ، او منحدرا الى انحلالها .

ثار الضمير العلمي ثورته ، فقام اهل العقل ، يحذرون اهل السياسة ، فكان مؤتمر الكبار ، وكان مؤتمر جنيف الذري ، الذي كاد ان يحوّل مجرى التاريخ ، فيجعل الذرة نفعـا للانسان وخيره ، بعد ان كانت شبح الهلاك والافناء .

ونحن اذ اعدنا نشر هذا التوجيه ، بعـد عشرة اعوام من نشـره في الاديب [عدد ايلول سبتمبر ١٩٤٥ تحت عنوان : على عتبة السلم مرة اخرى] فكأننا نكتب اليوم ، في صميم الواقع ، ما كنا نراه بالامس على هامش الواقع :

لقـد انتهت هـذه الحربُ المروعـة بعد ان الهبت الارض والسمـاء والعقـول طـوال ستة اعوام ، كـانت فيهـا ميدانـا لمباراة ، عنوانها : « همجية الانسان » تبارت فيها الدول ان عمدا او كرها . وها هي الدول تبدأ الآن سلسلة من المؤتمرات تحاول فيها وضع اسس جديدة ، لعالم جديد ، فـنرى هذه الاسس ، التي قامت الحرب على اسباب اوهى منها ، تكوّن اليوم الدعامة لسلم الغد .

فالعالم الجديد الذي يحاولون انشاءه مبني في الواقع على خوف الانسان من الانسان ، لا على محبة الانسان لاخيه الانسان ، انهم يحاولون الحدّ من مطامع بعضهم بعضا ، ولكن حين تقع القسمة الضازى يتفرق امناء السلم بعضهم عن بعض وتتجسم مصالح كل امة متنافرة ومصالح سائر الامم ، فتأخذ عملية المد والجزر تعمل عملها في حرب الاعصاب كما شهدنا ذلك من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٩ ، الى ان تقع كارثة جديدة تودي حتما ، في هذه المرة بكل حضارة انسانية قائمة ، وتعود الدنيا سيرتها الاولى البدائية ، في كل شيء ، حتى تنبعث من جديد مدنية جديدة . وهذه سنة الامم وتاريخ الحضارات البائدة تشهد على ما نقول .

الانسانية الآن ظمأى الى قطرات تبرّد هذا الدم الفائر فـي العـروق وتعطـي الضمـير الوجداني الحرمة والمقام الاول . فما زال منطق الاقوياء سائدا ، وما زال منطق الضعفاء مسودا ، وكلما زادت قوة القوي زاد ظلمه ، وكلما زاد ضعف الضعيف سلب حقه واضطهد ، ولن يعدل بين الناس غير الضمير ، ولكـن الضمير الوجداني اصبح ، مع تطور العالم ، اشبه ما يكون بعضو قليل الاستعمال ، قليل الاداء ، كلما مرّ عليه الزمن ضعف وتضاءل ، وذهبت امكانيته الايجابية . لذلك ، نرى الضمير الوجداني المتقلص يضمحل ، ليحل محله الضمير العلمي ، ضمير هذا العصر ، الذي يعبَّر عنه بعصر الطاقة الذرية . وما اشبه الضمير العلمي بالضمير الوجداني ، ان عدل احسن ، وان ظـلم اساء .

تـرى ايحسن الانسان استعماله فيسود العالم الرخاء ، ام يسيء استعماله كما اسـاء استعمال ضميره الوجداني فيمحقه ويمحق معه حضارته ، فتعود الانسانيـة الى الدرجة الاولى في سلم المدنية .

قد يقال ان الضمير الوجداني ما زال الموجه الوحيد لتصرفات الانسان وكذلـك لتحكمه بالقوى العلمية ، وان عليه واليه مآل النتائج ، ومعنى ذلك بقاء القيم الروحية مسيطرة ، غير اننا نرى ، نحن ، اضمحلال القيم الروحية وسيطرة القيم العلمية التي هي في ذاتهـا ميزان للخير والشر ، يقوم مقام الضمير الوجداني في زمن تحكّم المادة وسلطانها . والضمير العلمي يخشى ان ترجح غير كفة الخير لان في ذلك القضـاء على مصدر العطـاء ، اي مصدر القيم العلمية ، وبقاؤه متوقف على عدم اختلال التوازن .

ان العلم كسبب هو سبيل الى الخير لا الى الشر . ترى ايخفق الضمير العلمي غدا كمـا اخفق الضمير الوجداني بالامس ؟ !

البير أديب

في موكب الشعر

بقلم منح خوري

الى Margo التي تحب الشعر « ان يكون » ويعروها الملال من حديثه

*

في البدء ، من قبل ان كانت الكلمة ، كانت ذات الفنان ، وكانت معها اشياء الوجود . وفي غمرة اللقاء - لقاء الذات والاشياء - سرت في الصميم نشوة ، وفرَّ من التمتمات في ضمير الشاعر الى الحس الهاجع في ذائقة مستمعيه بوح مثير هو في يقيني التعبير الفني الاول عن ذلك الشعور بالاتصال بين الذات والاشياء .

من هنا ، اذا صح اليقين ، من هذا الاتصال بين الذات والاشياء ، تنبع التجربة ، ويتشكل الاثر ، وتتكامل الغاية . وكل حديث عن الشعر ملزم في اطاره بابراز هذه الادوار الثلاثة التي تتألف منها حياة القصيدة . والنقد اذ يسأل عن ماهية الشعر وعن قيمته وعما يكفيه من الرغبات في النفوس ، واذ يستجلي حوافز نظمه ودواعي انشاده ، واذ يميز فوق ذلك كله جيده من رديئه ، هذا النقد انما يعني بالتالي بتلك الادوار ذاتها : بالينبوع ، والشكل ، والغاية . غير ان هذه الادوار التي تمر بها القصيدة كثيرا ما تتغشى على النقاد فيختلفون في مجالها اختلافا ما كنا لنؤاخذهم عليه لو انه ناتج عن النظرة المتباينة الى طبيعة الشيء الواحد ولكنه ناتج بالفعل عن النظرات الجانبية الى الاجزاء المتعددة خارج اطاره . فموضوع المادة النفسية التي يتكون منها الاثر الفني غير موضوع الشكل الذي يتقمصه ، وان كان الموضوعان - المادة والشكل - متلازمين في البنية تلازما عضويا لا انقطاع بين مقوماته . والحديث عن الغاية من الاثر ، عن تأثيره في الذائقات ؛ وعن قيمة هذا التأثير في النفوس ، موضوع ثالث وثيق الصلة بالموضوعين السابقين ولكنه غيرهما على كل حال . أما تسميتي الادوار التي تمر بها حياة القصيدة بالينبوع والشكل والغاية مع ان بعض النقاد يسمونها الابداع ، والمحاكاة ، والايصال ، فامر أومىء اليه ولا اقف عنده .

والآن الى ذلك الاتصال بين ذات الفنان واشياء الوجود نتفهم طبيعته ونتحرى مداه . لا بد لي هنا من الاقرار بالعجز عن حل قضية ، فموضوعية البحث تقتضيني تحديد هذه الذات التي تنبع منها مادة الاثر الفني ، وتعريف تلك الاشياء التي تتصل بها قبل أن يصاغ الشكل وترتقب الغاية . هذه الذات ما يزال مكنونها يتحدى علم النفس وعلم الاجتماع والعلوم الانسانية كلها ، وتلك الاشياء ما يزال مجهولها يستثير العلوم الطبيعية والغيبية جميعا ؛ وليس من الحق ان ادعي الالمام بمعطيات هذه المعارف جملة ، واكتناه ما ادركته في استقرائها من حقيقة الذات والاشياء . غير ان هذه الايماءة المعتذرة لا تحول دون التماس المؤمل باستيحاء ما يسميه « جاك ماريتان » الحدس الخلاّق في الفن والشعر ، وتقصي أثره في طبيعة ذلك الاتصال رغم ما يكتنف شقيه من عتمة وخفاء .

للعقل مجالان يعبر بهما عن نشاطه : مجال العقل النظري الذي يعرف للمعرفة ، ويستبصر للابصار ، ويجعل الحقيقة او ادراك ما هو كائن ، غايته القصوى وعماد وجوده ؛ ومجال العقل العملي الذي يعرف للابداع ويجعل الخلق او تكوين ما يجب ان يصنع ، هدفه الاسمى ، واساسا لكيانه . الحقيقة في مجال المعرفة النظرية هي مطابقة الصورة الذهنية لواقع الكائن الموجود ؛ وهي في مجال المعرفة العملية اكتفاء العقل بانجاز العمل المشتهى ابداعه ، وادراكه للغاية المتحققة في صنيعه ، بلهفة ديناميكية فعالة ؛ ذلك انه ليس ثمة في البدء شيء موجود بعد تمكن مطابقته ، وكل ما كان اشتهاء ان يصير شيء الى الوجود . هذا التمييز بين العقلين النظري والعملي لا يعني انهما قوتان منفصلتان الواحدة عن الاخرى ، فقوى الذات الانسانية الواحدة يغلف بعضها بعضا (عالم الادراك الحسي مبطن في عالم التخيل ، وهذا مبطن في عالم الوعي) ؛ وانما يعني انهما لتلك الذات الانسانية الواحدة وسيلتان مختلفتان تعبر بهما عن نشاطها . والفن الشعري - كسائر الفنون الرفيعة - سليل العقل العملي ، وفضيلة من اعرق فضائله . اصوله من صلب اصوله ، وآياته من فيض الحدس الخلاّق الكامن في اعماقه . كلاهما حر بطبيعته المبدعة حرية تامة : العقل لانفتاحه على قوى الذات اللامتناهية ؛ والشعر لانفتاحه على الجمال اللامحدود . وكلاهما فوق ذلك كله منصرف عن الاصول الكلية ، والماهيات المجردة ، الى

التكامل في العمل الحر او التعبير المتقن وحده ، كقيمة وغاية . الحدس الشعري اذن معرفة فاعلة ، وادراك معبر : معرفة تتشوف الى الاتصال بالكون كل الكون . مادتها التراث الحضاري بجميع قيمه ومعتقداته ، وآفاقها التجربة الانسانية اللامتناهية بانفعالاتها الحية وتأملاتها الوضيئة ؛ وادراك يتحسس به الشاعر ذاته فاذا هي باعماقها ما وراء الجرم الصغير انطواء على العالم الاكبر ، واذا هو لا يكفيه شيء سوى ان يجسد ما تعرى لحدسه من الوجود في ذاته أو من ذاته في الوجود شعرا رفيعا وآية كبرى .

هذا الاتصال بين ذات الفنان وعالمه ، وما ينشأ عنه ، بحافز من الحدس الخلاق ، من الآثار الفنية ، انما يختلف بين شاعر وآخر وبين ادب وادب . ويقيني انه يجب التمييز هنا بين اتجاه الشاعر العربي واتجاه الشاعر الغربي.

ركز شاعرنا على الاشياء — المرئي منها والمغلق فيها — فشغلته هذه الموضوعية عن ذاته حتى كاد يضيع في فنه ذاته . يصح هذا الحكم — في اعتقادي — على جمهرة شعرائنا ، القدامى منهم والمحدثون ، لا استثني بينهم الا النخبة . وحتى عندما تتراءى هذه الذات في بعض شعرنا فهي انما تتراءى « كبعض الاشياء » ، في اهاب موضوعي وعن غير ارادة غائيّة . وتظل شخصية الشاعر في صميم سرائرها ، في خصوصيتها المنطوية ، مائعة في هيئة الجماعة الكبرى ، او مقنعة بقناع الآراء العامة في الفكر والعقيدة .

ليست هذه هي الحال في الشعر الغربي ، بل هي على النقيض من ذلك في المحدث من فنونه . فقد انشغل الشاعر بذاتيته عما عداها من الاشياء ، شغلته خصوصية ذاته وما انطوى في اعماقها من المخبّئات والودائع فراح يستجيب لحدسه الشعري ، ويتعرّى بالتعبير عن هذا الواقع النفسي اللامتناهي تعبيرا اصيلا يسمعك صوته الخاص في كل حرف من حروفه . الحق انه لم ينته الى هذه الغاية في طفرة ، ولكن المهم انه ادركها ، وانه اصطفاها لفنه الطالع اتجاها .

« انا غامض كالشعور ، كالعتمة في الاوقيانوس العظيم ، وحدي ، بغير شراع ، اغالب الهول ، وانتحي الشعاع على الساحل الامين . »

هذه ايماءة الى المادة النفسية التي ينبع منها الاثر الفني ، والى المعاناة التي يقاسيها الشاعر في توقه الى التحرر الخلاق :

التحرر من الطبيعة والاشكال الطبيعية : التحرر الذي عبر عنه Van Gogh حين قال : « اود ان ارسم صورة فنان صديق . هو انسان يحلم احلاما كبارا ، ويؤدي عمله كما يرسل الطير لحونه .. كذا في انطلاق سمح . الصورة لم تكتمل بعد ، وحتى أتمها كما يشاء هواي ، سيكون لريشتي فيها الوان ملونة . هناك ما وراء الهامة لن اعكس جدار الغرفة الوضيع ، ولكني ساطلق اللانهاية اطارا يكون بزرقته الحادة اغنى ما تكون الالوان . ومن التباين بين لون الهامة المشرقة المهيبة ، وبين تلك الزرقة العميقة ستنبعث من الصورة كلها اثارة ساحرة كتلك التي ينجاب عنها النجم الوضيء في اعماق القباب الزرق . »

والتحرر من اللغة . اللغة السائدة ، بما فيها من المدلولات الثابتة ، والرواسب الجامدة ، والقوالب الجاهزة ، والمعادلات الذهنية المحددة .

والتحرر من العام الى الخاص من الاتباعي الى الابداعي بكل ما في هذه اللفظة من ايماء الى تفرد في التعبير وخصوصية في الاسلوب .

والتحرر بالتالي من الغموض في مجاهل الذات الى الصحو يشيع في اجوائها .

واخيرا بعد هذا التحرر ، وبعد صيرورة التجربة اثرا فنيامتكاملابذاته ، ماذا يكون من امره عند تسليمه للقارىء؟
نحن هنا مع الغاية من الشعر . والكلام على هذه الغاية يفضي بنا حتما الى تفهم عمليتي الايصال Communication والتقييم Evaluation مما يقع ، ما وراء حدود علم الجمال ، في دائرتي فلسفة اللغة والعلوم السيكولوجية .

همّ القارىء المسؤول ان يستخلص التجربة من الاثر الفني ، ان يذوق الحالة الوجدانية الموصولة باهابه . ولكن هذا الاثر في الشعر فن قائم على اللغة . على مجموعة من الاصطلاحات والرموز التي تعني حينا وتوحي اكثر الاحيان. وفي المجال بين ما تعنيه اللغة حقيقة وتقيده ، وبين ما تومىء اليه ايماء ولا تحدده ، تنشأ المشكلة ، ويدور الخلاف حول ما ضمن الشاعر واستوعب القارىء . ولكنها مشكلة خيرة احيت التراث الادبي كله ، وهو خلاف ممرع عرف الشعر الحديث كيف يستغله ويضيف به على آفاقه امداء جديدة .

مما لا شك فيه ان وظيفة الالفاظ هي التعبير عن المعاني التي خلقها العقل . ومن هنا ضرورة تعقل اللغة والالمام بقيمها المعنوية . ولكن للاليات اللفظية ، فوق ذلك ، ايقاع صوتي يجعل وظيفتها الاساسية الاثارة والتأثير . ومن هنا ضرورة « الاحساس » باللغة وادراك قيمها الشعورية .

يركز I. A. Richards موجه النقد الادبي الحديث في الغرب الانكلو — اميركي ، على هذه الخصائص الحسية للغة فيرى ان الاثارة هي التجربة ذاتها التي تتناهى الى القارىء بواسطة اجساد الكلمات ، كل اجساد الكلمات ، في بنية القصيدة ؛ وهي تتشعب عند التذوق الى تيارين متصلين : فرعي وأساسي . الاول فكري وقيمته توجيهية لافتة . والثاني عاطفي ، فعال ، تسيره رغباتنا الرئيسية وما الفكر في موكبه الا مطيّة مسخّرة . ان بعض الذين يقرأون الشعر يعجزون عن الخروج على مجرى ذلك التيار الفكري .

— التتمة في صفحة ٧٢ —

منح خوري

المغنية والعود

✳

هات من ضلعك هات نغماً يغني حياتي
انا يا عود على الليل بقايا نغمات
ومن الفجر ، على الغصن ، حفيف النسمات

★ ★ ★

هينمات" أنا في عرق الدوالي الحالمات
وصدى القمة والاوداء في ناي الرعاة

★ ★ ★

وتر هلهل من هدب النجوم الساهرات
وشراع يعبر الافق الى غير التفات
مبحر" ، آت من الغيب ، وما كان بآتي

★ ★ ★

هذه الريشة ان حركتها حركت ذاتي
أيراعي انت ام انت ، اخا الحرف ، دواتي
ورقي أذن" على الليل واذن" في الغداة

★ ★ ★

نحن يا عود كلانا شهوات الشهوات
تترك الشارب والساقي ابتهالات صلاة
... من هنا هات ومن غصن الدوالي ، الف هات

الياس خليل زخريا

كان ... ثم

...

كـان ...

...

والعمر في الماضي طويل
كنا نحلم بالمستحيل
كانت السما غير سمائنا
نصنعها بأيدينا
نرسم فيها ما نشاء
نلونها بلون عيوننا
نمرح في بستاننا
كالفراش
نملّع أجنحة الزمان

* * *

والعمر في الماضي طويل
كنا نحلم بالمستحيل
كانت « الساعة » لنا
كلها لنا
تطول • تتلوى • تزحف على حيطاننا
نقبض عليها • تسير كما نريد
ان صدفت عنا
هرعنا الى غيرها
الى « ألسنة العصفور »
نبحث في أعبابها عن حظوظنا
تتلو لنا آيات • آيات
نفرح • نزقزق : هيا بنا
نقفز في دروب • سوتها أقدامنا

* * *

والعمر في الماضي طويل
كنا نحلم بالمستحيل
كان الناس غير « ناسنا »
والاهل كانوا لنا
يحارون في أمرنا
يلبسوننا تمائم
يبعدون الشر عنا
يتمنون لنا الخلود

* * *

والعمر في الماضي طويل
كنا نحلم بالمستحيل
كل شيء كان لنا • لنا
نحياه في عروقنا

* * *

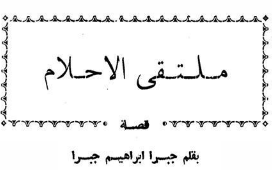
واليوم
فقدناها • فقدنا حياتنا
فقدنا كل شيء
سوى حفرة من صنع آبائنا

ثـم

...

ثارت السنون واحدة •• واحدة
عادت السجون ثانية • ثانية
دارت حولنا • لفتنا القيود
مصمصت كل عرق منا
جف ماء العيون
في قبضة الدهور
وقفنا ذرة
في أعماقها براكين تثور
والسياط تلدغ ظهورنا
تلعن منا الصدود .
والكلاب تنبح وراءنا
تقسم أن تعرق عظامنا
نسوط التلال بأقدامنا
تثير منها الغيوم
بيننا وبين أعدائنا :
عبيد التقاليد
ترسخ أقدامنا
عواميد • عواميد
تحكي أساطيرنا :
مروا بنا من هنا
والكلاب تمزق بعضها بعضا
كلما مرت من ها هناك

ثريـا ملحس



بقلم جبرا ابراهيم جبرا

✳

عندما عدت من انكلترا الى القدس عام ١٩٤٦ ، بعد غياب سنوات كثيرة ، سألت عن صديقي القديم انور كريم ، فقيل لي انه اثناء غيابي قد حصل على شيء من الشهرة بثلاثة كتب او اربعة عدها البعض فتحا جديدا في الادب العربي ، وانه يسكن الآن دارا منعزلة ، بعيدة بعض الشيء عن المدينة ، في الضاحية الغربية . فما كان مني الا ان استقللت سيارة وذهبت لزيارته .

فوجدته في غرفة جلوسه محاطا برفوف من الكتب وقد اكتست الجدران بصور زيتية كبيرة . وكان سروره برؤيتي عظيما ، وقضينا ذلك النهار في حديث لم ينقطع الا عند انتصاف الليل . وفي الصباح التالي التقينا ثانية ودعاني للغداء معه في فندق الملك داود ، ثم قال :

« اتصلت تلفونيا بصديقي سليم الجابي ، واعلمته بوصولك . وقد طلب الي ان نذهب معا الى منزله عصر اليوم للشاي ، لانه سمع الكثير عنا ويود مقابلتك . فهل من مانع ؟ »

ـ طبعا لا . اشكركما جدا .

وعندما انتهينا من الغداء كانت الساعة تقارب الثانية والنصف . فقلت له :

« اود لو نمشي قليلا في شوارع القدس . لم اعرف مثل هذا الطقس المشرق الجميل في الربيع منذ عهد بعيد . ولعلك تعرف طقس انكلترا الماطر . »

فقال : « هيا بنا . فانا احب المشي ايضا . على ان نكون في الساعة الرابعة عند سليم . »

ولما خرجنا الى الشارع ورحنا نمشي شعرت بسيل من ذكريات الطفولة يتدفق علي فقلت :

« أتذكر ايام كنا نذرع هذه الطرقات طولا وعرضا كلما خرجنا من المدرسة ؟ »

ـ وكيف كنا نهيم على وجهينا في التلال ونجلس على الصخور ساعات طوالا ؟

ـ وانت تسرد القصص ، قصة تلو اخرى .

ـ لم يكن ذلك بالطبع الا لان حياتنا خالية مما نتوق اليه فنحقق رغباتنا عن طريق القصص .

ـ يخيل الي يا انور انك ما زلت كما كنت اعهدك . وما اختيارك لهذه الدار النائية عن العمران الا لانك ما زلت تحب التلال ـ مع انك ابن المدينة .

ـ لقد كانت هذه الدار النائية في الواقع هي السبب في تعرفي باسرة الجابي .

ـ يبدو انك تعلق على هذه الاسرة اهمية كبرى .

فتوقف عن المشي لحظة ، وركز نظرة في عيني ، ثم قال : « لن تعجب من ذلك لو اخبرتك بالتفاصيل . »

وما كدت اقول : « ارجو انك لا تهول الامر » حتى انطلق انور يقول :

لما خرجت من المدينة لكي اقيم في بيتي الجديد في تلك الناحية البعيدة شعرت بأن عبئا ثقيلا قد ازيح عن صدري . فقد كانت امنيتي منذ زمن بعيد ان اقيم في بيت منعزل عن ضوضاء الناس وضجيج الاسواق ، لعلني استرد ثقتي في الحياة وحبي لجمالها . فانا اعد نفسي اديبا ، لا لانني اعيش على قلمي ، بل لانني احببت الكتب منذ صغري واستمددت منها غذائي الروحي سنوات طوالا صممت في اثنائها على ان اضيف الى مكتبة العالم الواسعة على الاقل كتابا واحدا ، احصر بين دفتيه سر الجمال ، ذلك السر الذي كنت اكاد المسه كلما نظرت الى وجوه الناس او الى صفحة السماء ، كلما رأيت الانوار تتالق من النوافذ وسمعت ضحك الاطفال وهم يقفزون ، رغم الاسمال البالية والبيوت الحقيرة التي كنت اجدها في كل مكان . كانت امنيتي ان اكتب كتابا واحدا يخزن في صفحاته هذا الجمال، فارضي نفسي . وذلك ان اكثر الكتب التي كنت الفتها لم تمس الا اطراف المواضيع التي تسحرني ولم تقدم لقرائها الا لهوا تسد به ساعات فراغهم . ولهذا كنت عقدت النية على العزلة التامة في مكان بعيد حيث اقضي اشهرا في المطالعة والرياضة على الجبال ، والكتابة . غير ان هذه العزلة لم تتح لي بادىء الامر ، وجاءت الحرب فغيرت الاوضاع في المدينة بسرعة عجيبة ، فجعلت اشك في المقاييس التي كنت اقيس بها الحياة فاراها متناسقة الجوانب ، واذا بي شيئا فشيئا اجد في الناس كرها وحقدا

وحسدا ، اجد في وجوههم قبح القروش النحاسية التي يتهافتون عليها ، واجد في غيوم السماء تهكما وازدراء ، ولا ارى في البيوت الحقيرة الا الجهل والآلام . ولذلك لشد ما كان سروري عظيما عندما حصلت على هذا البيت المنعزل فقلت : « هنا استرد ثقتي في الناس وفي الحياة ، وهنا اكتب كتابي المنتظر . »

ولكن ما كاد الشهر الاول ينصرم حتى حدث لي حادث غريب . وانا اذ اذكره الآن لا اتمالك نفسي من العجب كيف اقتحم على حياتي فجاة ، كأن مسرحية كان يجب ان تمثل في بيتي الجديد ، فيرتفع الستار على غير انتظار مني ، واذا انا بين الممثلين .

فقد كنت أشرب الشاي بعد الظهر ، والنافذة مفتوحة انظر من خلالها الى التلال البعيدة تلاحق الواحدة الاخرى الى ان تحتويها احشاء الافق ، وقد تفجرت اشعة الشمس فوقها من بين الغيوم . فشعرت بشيء من البرد — وكان ذلك في اواخر اكتوبر — وما كدت اقوم الى النافذة حتى بدأ هواء عاصف بالهبوب ، فاغلقتها . وما هي الا لحظات حتى انقلب الهواء الى ريح عاتية ، واذا بالسماء تدلهم ، واشعة الشمس تختفي وراء غيوم سوداء مندفعة . ولما كان البيت على راس تلة تحيط بها قفار واسعة ، جعلت الريح تصفر وتئن اذ تتخبط حول الدار ، فتنحني الشجرات الثلاث الواقفات كالحرس امام المنزل انحناء المتوجع وتضرب اغصانها جدار المنزل .

ولم اكن قد اخترت ذلك المكان لسكناي عبثا . فمنظر عاصف كذاك ، بوحشته وروعته ، كان من احب الامور الى نفسي . فاتكأت على عتبة الشباك وجعلت ارقب الاشجار الثلاث تتلوى والغيوم تتراكض واصغي الى زئير الطبيعة ، وقد بدأ الظلام يهبط موحشا . الى ان اسودت التلال . ثم لمع برق خاطف في السماء ، وقصف الرعد ، وسرعان ما بدا المطر في الانهمار ، ثم توالى البرق والرعد مرات عديدة وانفتحت مصاريع السماء ....

والتفت حولي في غرفتي المظلمة اطلب غليوني : وتدخين الغليون بعد الشاي واجب ممتع عندي . ولما لم استطع ان اراه ذهبت نحو الحائط لانزل مفتاح الضوء — واذا الكهرباء مقطوعة . فغضبت لذلك اولا ، غير انني سلمت امري لله وقلت لا بأس من ليلة ليلاء كهذه ، نقضيها في ظلمة دامسة . لعل العواصف قد عبثت بالاسلاك الكهربائية .

غير انني بعد قليل سئمت الظلام ، وتسربت وحشة المكان الى نفسي مشوبة بشيء من الخوف . ولم يكن عندي مصباح : فما العمل ؟

ذهبت الى المطبخ واخرجت — في ضوء عيدان الكبريت — كأسا ملأت ثلثيه بالماء ، واضفت اليه شيئا من زيت الزيتون . الم يكن السراج ضوء اجدادنا الوحيد في الازمنة الغابرة ؟ وفتلت شيئا من القطن — وبالاختصار ، اضأت قنديلا يتراقص قبسه ، ووضعته على المائدة . وما اجمل الظلال التي كان يلقيها على الجدران كلما تحركت .

لم يكن في وسعي حينئذ ان اكتب او اقرأ ، وكان عندي ، عدا الفراموفون الكهربائي غراموفون يدار باليد ، فأخرجته ، ثم اخرجت عددا من الاسطوانات الكلاسيكية ، وبدأت بالسمفونية السادسة لبيتهوفن . فهي السمفونية الريفية كما تعلم ، وفي اواسطها عاصفة ستضيف الى العواصف التي حولي سحرا غريبا .

وهكذا جلست في كرسي كبير مريح في ضوء القنديل الخافت وظلاله العميقة ، انفث سحب الدخان اللذيذ واصغي الى الموسيقى باذن واصغي الى هياج الطبيعة باذن اخرى ، وكلي نشوة . ثم انحصر انتباهي في تتبع الالحان ، حين بدات تنذر في جمجمة رائعة بدنو العاصفة على الجبال : ها هي ذي الطبول تدق كقصف الرعود ، والاوتار تزأر كالزوابع ، وها النغمات تتحدى وتتجاوب ، وها هي تبلغ ذروتها من العنف الالهي .

واذا الباب يقرع بغلظة ....

فظننت اولا انها الريح ، ولكن القرع الشديد عاد وقطع علي سيل متعتي ، فقمت متذمرا الى الباب الخارجي ، والاسطوانة ما زالت تدور ، وما كدت افتح الباب حتى هاجمتني الرياح وبللتني في الحال ، واندفع الى الداخل رجل كأنه خرقة غمست في الماء ورفعت وهي تقطر ، وتسلل الى جانبه كلب كبير . فاغلقت الباب درءا للعاصفة وهو يقول :

« مساء الخير . لقد ازعجتك . »

— لا ابدا . يظهر انك وقعت في حبائل الطبيعة .

فقال وهو يلهث ويكاد يرتجف :

« اتسمح لي ان اجفف ثيابي في منزلك ؟ لقد تبلل جسمي كله من الداخل . »

فقلت وانا اقتاده الى الداخل : « طبعا . لكن اسمح لي — ».

واندفعت في الغرفة واوقفت الفراموفون .

فقال : « لماذا اوقفته ؟ تلك موسيقى جميلة . اظن انني اعرفها . بيتهوفن ؟

— اجل .

وادركت انه لا بد شاب مثقف . ولسبب ما ، راق لي مظهره في الحال ، وان لم استطع ان اتبين وجهه . فقلت :

« سنستمر في العزف اذا اردت بعد ان تجفف ثيابك . ها هو الحمام . وأظن انك ستجد منشفة فيه . »

— اشكرك جدا . ارجو الا يزعجك كلبي . فهو اليف لا يؤذي احدا ، رغم ضخامته .

عطفت على المسكين ، وقلت لنفسي ان لم اساعده في الحال ، فقد يمرض . فعدت الى الغرفة واخذت القنديل الى الحمام ، وقد بدأ ضيفي يخلع ثيابه . وكلبه الكبير

بجانبه ينظر اليه .

سأسخن لك شيئا من الماء فتستحم به ، لكي يزول عنك البرد . فلحمامي جهاز يعمل على النفط ويسخن فيه الماء بسرعة .

لم يتكلم الفتى ـ وقد تأكدت انه لا يتجاوز الخامسة والعشرين على الاكثر ـ بينما اشعلت جهاز الحمام . ثم ذهبت الى غرفة النوم واخرجت بعض ثيابي ، وقدمتها اليه لكي يلبسها عندما يفرغ من حمامه . وتركت القنديل عنده واغلقت باب الحمام ورائي ، وعدت الى غرفتي بحذر لئلا اعثر على شيء ، وانا اتساءل من يكون هذا الرجل ؟ وبحثت عن مقعدي في الظلام وجلست فيه مادا رجلي امامي ما استطعت واشعلت غليوني من جديد .

وعندما خرج الشاب ـ ورايت انه قد لبس ثيابي ـ جاء الي يحمل القنديل ، فبدا له وجه جميل وعينان كبيرتان ، وقال :

« لقد غمرتني بفضلك . »

« لا باس يا شيخ . فهذه ليلة لم تكن في الحسبان . »

ـ كثيرا ما اخرج الى هذا المكان ، وانظر الى منزلك الجميل ، وطالما تمنيت ان ارى داخله ـ لكن في ظروف احسن من هذه . كنت قد توغلت في المشي هذا المساء ، ثم انقلبت الدنيا علي فجاة . فجئت الى منزلك راكضا . ولما لم اجد الا بصيصا من النور ظننت انك لست في البيت ، لولا ان صوت الموسيقى اخترق اذني ، بالرغم من العاصفة ، وكنت قد تبللت حتى ما عدت اعرف أأنا امشي ام اسبح . واظن اني تبينت اللحن فقلت : ان من يعزف مثل هذه الموسيقى لن يرد زائرا غريبا .

ـ اشكر لك حسن ظنك بي . تفضل واجلس .

ـ ارجو ان ينقطع المطر قريبا ، فلا ازعجك اكثر .

ـ انني في الحقيقة اشعر بشيء من الارتياح لقدومك . فان الليلة عنيفة ، ومن يعش لوحده في مثل هذا الجو يستوحش احيانا ، ومهما يكن من امر فلا اظن ان ثيابك في الحمام ستجف بسرعة . وليس عندي من ادوات التدفئة لتجفيفها الا مدفأة كهربائية ـ والكهرباء كما ترى مقطوعة .

ـ اذن ما العمل ؟

فضحكت وقلت : « الليل طويل ، فلننتظر . »

وكأنه لم يفهم ما قلت ، فنظر الي بامعان في ضوء القنديل ، ثم رأيته بشيء من الدهشة ينظر حوله الى رفوف الكتب التي بدت اكثر عددا مما هي بسبب النور الضئيل ، والى المنضدة والاشياء عليها متراكمة ، ثم الى المائدة وقد استقرت عليها الاسطوانات والفراموفون . وظهرت الصور الزيتية كانها فجوات في الجدران تطل على عالم آخر .

ولم اقل شيئا ، لكي اعطيه وقتا كافيا يستوعب فيه ذهنه جو الدار التي دخلها مكرها وعلى غير انتظار من صاحبها ، ثم سألته برفق :

« من انت ؟ »

فخيل الي انه لم يكن ينتظر مثل هذا السؤال ، اذ تلعثم قليلا ثم اجاب :

« أنا سليم الجابي . »

ـ ابن توفيق الجابي ؟

ـ نعم . اتعرف ابي ؟

ـ كلا . ولكن من لم يسمع باسم ابيك ؟

فخيل الي ايضا انه لم يرق له اطرائي على ابيه ـ وقد دهشت لذلك ، لولا انني عزوته الى عدم رؤيتي تقاطيع وجهه بوضوح . فللقنديل ـ من قريب ـ تأثير مزعج على الوجه ، اذ يضيء اجزاءه النافرة فتبدو اشد نفورا مما هي ويضع الاجزاء الاخرى في ظلام عميق ، فتتشوه سماته .

وكنت اعرف توفيق الجابي بالاسم ، لانه صاحب مصانع للنسيج مشهورة ، ولم يغب علي ان استنتج في الحال ان ضيفي شاب ميسور وله من الثقافة والتهذيب ، ما يجعلني مطمئنا الى بقائه ـ اذا لزم الامر واستمرت العاصفة ـ في بيتي حتى الصباح .

وفي الواقع لم يخب ظني فيه . فقد جعلنا نتجاذب اطراف الحديث ، وحين استرد شيئا من ثقته ، واخذت تزايله تلك الكلفة المزعجة التي لا مفر منها عند التقاء الغرباء ، توسع بنا الكلام . والزوابع الهوجاء ما زالت تكر وتفر والمطر يضرب اوراق الشجرات الثلاث بعنف مسموع .

وبعد ذلك قمنا معا الى المطبخ وهيأنا لنا عشاء اكلناه ، ولم ننس الكلب ، فاعطيناه شيئا ياكله ، ثم عدنا الى غرفة الجلوس بين الاوراق والكتب ، واستأنفت عزف السمفونية على الفراموفون .

واذ لم ينقطع المطر ، عرضت على سليم ان ينام عندي .

وبعد شيء من التردد قال :

« انني لن انسى جميلك . فسأبات الليلة هنا ، ولكن على شرط . »

« وما الشرط ؟ »

ـ ان تسمح لي غدا بعد الظهر ان آتي هنا مرة اخرى ومعي شخص آخر .

ـ ومن يكون هذا الشخص ؟

فشعرت ان وميضا اضاء في عينيه اذ اجاب :

« خطيبتي . »

فقلت ضاحكا : « اهلا وسهلا . وسنشرب الشاي معها . »

ثم اردفت : « واظن ان خطيبتك سوف تكون اول امراة يحتويها هذا المنزل ـ عدا الخادمة العجوز بالطبع . »

فاجاب ضاحكا : « اذن يكون هذا شرفا اكبر ... »

ـ وهل ستأتي بهذا الكلب الجميل ايضا ؟

ـ كلا . انما آخذه معي كلما خرجت للتجوال وحدي على التلال . وهو وان يكن اليفا لن يتردد في مهاجمة اي انسان اذا اشرت له بذلك عندما يقتضي الامر .

***

استمرت العاصفة في زئيرها طيلة الليل ، وعند الصباح انقطع المطر وانقشعت الغيوم ، غير ان الرياح استمرت في عنفها . وغادرني سليم على ان يعود بعد الظهر كما اراد ، وقد اوصلته الى البوابة الخارجية مودعا ، ورأيته يبتعد عن الدار وشعره منبث حول وجهه ، ويكاد ينحدر الى الوراء ، لشدة الريح .

وحوالي الساعة الرابعة سمعت صوت سيارة في الخارج فنظرت من النافذة ، واذا بسليم يخرج منها متدثرا بمعطفه ، وتخرج فتاة متدثرة بمعطفها وقد ربطت منديلا حول شعرها .

فذهبت وفتحت الباب وفي شيء من السرور لهذه الالفة السريعة ، ولكن ما كادت عيناي تستقران على وجه الفتاة في اطاره المنديلي ، حتى سرت في جسمي قشعريرة غريبة لم ادر لها سببا : غير انها كانت قشعريرة لذيذة ، كانني فجاة تعريت من ثيابي في يوم حار ، ووقفت تحت الدوش وسمحت للماء البارد بان يتدفق علي بقوة .

وقال سليم معرفا :

« خطيبتي الانسة رباب باسم . وهذا صاحب المنزل السيد انور كريم . »

واذ صافحتها كانت يدها نحيفة باردة ، وقد ابتسمت وقالت :

« لقد قرات بعض ما تكتب . »

وبعد ان خلعا معطفيهما ، اقتدتهما الى غرفة الجلوس ، وراحت رباب تنظر الى الكتب رفا رفا ، ثم بدات تركز انتباهها في الصور الزيتية ، وكلامها قليل كأن ما في فكرها لا يمكن ان يحكى . ثم احضرت اواني الشاي ، وجلسنا .

غير انني رغم طلاقتي في الحديث ، جعلت اخجل من نفسي ، بل كدت اغضب على الفكرة اللعينة التي قفزت الى راسي من حيث لا ادري : علي ان احب رباب ....

لقد شعرت ان تلك لم تكن اول مرة اراها فيها . بل خيل الي انها ما جاءت الى منزلي الا حسب موعد ضربته معها ـ والله يعلم ان عيني لم تقع عليها مرة من قبل . ويبدو ان سليما يعبدها ، فهو رغم تحفظه (وفي حركاته شيء من الانفة والثقل) لا يستطيع ان يخفي هواه بها . واما هي ، فواثقة من نفسها في شيء من الحيرة : واذ كانت تتكلم كانت تنظر حولها في شيء أشبه بالريبة ...

ولما بدانا بشرب الشاي قالت : ان منزلك جميل جدا . اتسمح لي برؤية بقيته ؟ »

فقمنا والاكواب في ايدينا واريتها غرفة النوم ، وغرفة الطعام الصغيرة ، والمطبخ والغرفة الخلفية التي كنت جعلت منها استوديو لتصويري بالزيت . وكانت رباب تبدي اعجابها باتساع الغرف وما الى ذلك ، ولكن ما ان رات الصور التي لا تحصى تكسو الجدران والارض حتى انطلق لسانها من عقاله :

« اذن انت رسام ! كنت اظنك كاتبا . »

وقال سليم :

« انه لم يخبرني بذلك امس ! »

فقلت مازحا : « هذا سر من اسرار حياتي . في قرارة قلبي ما انا الا رسام ، ولا اجد لذة في الحياة تساوي لذة امساكي بالريش ووضع الالوان على اللوحة . ولكن ما هذه الا هواية . اذ لا بد لي ان اكتب لكي اعيش . »

فقالت وقد اشرق وجهها : « ارايت يا سليم انني كنت صادقة في تخميني ؟ » ثم التفتت الي : « الم يخبرك سليم بقصتنا ؟ »

قلت : « لا . »

فقاطعها سليم : « كلما مررنا بمنزلك كانت رباب تقول :

« اود لو ادخل هذا الدار ، لارى صاحبها . »

فضحكت رباب : «كنت اقول لا بد ان صاحبها شخص غريب . لعله رسام ، وشارطت سليم على ذلك ! ولكنني في الحق تصورت ان لك لحية سوداء كثه ، وانك لا تحب الضيوف ! »

واردف سليم : « ولما اضطررت امس الى اللجوء اليك ولم تخبرني بانك رسام ، طلبت منك ان تسمح لرباب بزيارتك بنفسها لكي تصدق ـ لانها عنيدة نوعا ... » وضحك .

ولحظت حينئذ ـ مع ان ضوء السماء كان خافتا في الغرفة ـ ان رباب جعلت تنظر الى صورة في احد الاركان : وفيها فتاتان تنظران من نافذة ، وقد اندمج جسماهما ، وكلتاهما تشبه الاخرى شبها قويا ، ولكن احداهما عارية والاخرى لابسة ، وعلى عتبة النافذة زهرتا نرجس في اناء . وللحال ادركت سر ذلك الشعور الغريب الذي كان قد انتابني : فان الفتاتين تكادان ان تكونا رباب نفسها... بل ان عشرات الوجوه التي كانت تعج بها صوري ما كانت الا وجه رباب . فقد كان اصدقائي يتساءلون لماذا ارسم نفس الوجه دائما فاقول : لست ادري ، لقد خلقت هذا الوجه ثم عشقته !

ولست اعرف اذا كانت رباب قد لحظت ذلك ، غير ان سليما ابتسم اذ نظر الى صورة اخرى وقال : « ها ! يكاد هذا الوجه ان يشبه وجه رباب ! »

فضحكت وقالت : «مجرد وهم يا عزيزي سليم . هيا بنا الى غرفة الجلوس ، لنشرب كوبا اخر من الشاي. »

وخرجنا ورباب تقول : « أريد ان ارى هذه الصور كلها ، واحدة واحدة . »

قلت : « اهلا وسهلا . ولكن في مناسبة اخرى . »
وصببت لها الشاي .
ولشد ما كانت دهشتي ان اجد حين غادرني الضيفان الكريمان ، ان ثائرة الريح قد هدأت ـ ولم اكن قد لحظت ذلك . ان كل ما اذكره هو انني كنت كلي فرحا بزيارة سليم ورباب ، واذ ودعتهما عندما ركبا سيارته ، قلت لنفسي :
« انني اودع اجمل مخلوق رأته عيناي . »
وقال سليم :
« لا تنس الموعد . العشاء يوم الخميس . . . »
وعدت الى الاستديو ، وجعلت انظر الى رسومي من جديد ، واتلذذ بالشبه القوي بين رباب وهذه النسوة ـ بل هذه المرأة التي تكاد تتكرر في كل صورة . غير انني وبخت نفسي على تهالكي المشين في ذهني وقلت : « لا شك انني واهم . فليس بين هذه الصور وبين رباب من الشبه الا ما يختلقه خيالي الكاذب . ولا يليق بي ان اعلق افكاري بهذه الفتاة المخطوبة الى شاب دمث لطيف كسليم . »

***

والتقينا بعد ذلك مرات عديدة ، وشبت في قلبي نار لم استطع ان اخمدها ، ولكني حاولت جهدي ان ابقي امرها سرا في نفسي . وكلما ذهبت الى دار سليم الجابي اخذني الى غرفته لئلا اضطر الى الاختلاط باصدقاء ابيه ـ وقد لاح لي انه يؤثر الا يتحدث عن ابيه ، مع انه عرفني به وجالسته مرتين او ثلاثا في الصالون الضخم الذي يلتقي فيه جماعة من اغنياء المدينة وتجارها المعروفين بين حين وآخر . وكثيرا ما تكون رباب هناك فهي في الاصل من اقرباء العائلة .
وذات صباح جلست الى منضدتي اشرب فنجانا من القهوة (كنت هيأته بنفسي) واكتب فصلا من كتابي العتيد ، واذا جرس الباب يدق .
وسرني ان القادم لم يكن الا رباب وقد ربطت شعرها بذلك المنديل نفسه الذي رأيته يوم جاءت الى المنزل اول مرة ، ولكن لحظت ان في وجهها شحوبا ، رغم شيء من المسحوق ارادت ان تخفي به معالمه ، وحول عينيها ظلالا بادية الزرقة .
قالت بعد السلام مبتسمة : « هل انت وحدك ؟ »
ـ نعم لحسن الحظ !
ـ اتكتب ام ترسم ؟
ـ اكتب .
ـ هل تركت الرسم ؟
ـ ابدا . كل ما هناك علي ان انصرف الى الكتابة لبضعة اسابيع الى ان افرغ من هذا الكتاب .
ـ اريد منك ان تخبرني عن تفاصيل كتابك . واريد منك ان تعلمني كيف انظر الى صورك . واريد منك ـ اشياء كثيرة !
وضحكت .

ـ اتشربين شيئا من القهوة ؟
ـ اني اعبد القهوة .
ـ سيجارة ؟
ـ اشكرك .
واشعلت لها السيجارة . ورشفت قهوتها صامتة .
وكان في نفسها امر غامض ، عديت به دون ان اعلم ما هو . ولكنها رفضت ان تفاتحني بشيء . العلها تخاصمت مع سليم ؟ فقلت وكأنني ابحث عن شيء للقول :
« اتذكرين اليوم العاصف الذي جئت فيه مع سليم ؟ »
ـ نعم . ولن انساه .
فظننت ان ذلك اطراء منها . قلت :
« كنت ثائر الاعصاب قليلا ، ولذلك عندما دخلنا غرفة الصور فزعت قليلا . »
ـ لماذا ؟
ـ لانني ادركت فجأة ان نساء الصور في شبهك تماما .
ـ غريب ! لقد شعرت انا بشيء من هذا القبيل ولكنني عزوته الى غرور النساء .
ـ غرور ! ان من لها جمالك لا تستطيع ان تكون مغرورة .
ـ أتراني جميلة يا انور ؟
فابتسمت وقلت : « هذا سؤال جوابه اوضح من ان يذكر ! »
واذا هي تقوم وتتكيء على عتبة الشباك . وتنظر من خلال الزجاج الى الخارج . ولامر ما ظننت انها غضبت ، ولكنها قالت وعيناها تنظران الى التلال :
« اتدري ما يخفي جمالي وراءه ؟ »
حينئذ دنوت منها وقلت :
« مهما يكن فلا بد ان يكون جميلا مثلك . »
فدارت بوجهها نحوي ، ثم ادارت ظهرها الى الشباك ، ونظرت في عيني .
فما كان مني الا ان احتويتها بين ذراعي فجأة وقبلتها . واذا بها تتهالك على صدري ، وتستسلم وبين شفتيها تنفس عميق .
وهمست : « رباب . لقد كنت مجنونا فلم اعرف . »
وقبلتها مرة اخرى ، فاخرى . ثم توقفت رباب فجأة وقالت :
« لم تجبني على سؤالي ! »
ـ اي سؤال ؟
ـ ماذا يخفي جمالي وراءه ؟
ـ قلت مهما يكن فلا بد ان يكون جميلا مثلك .
ـ ظننتك يا انور احذق من ذلك . لا يخفي جمالي الا قبحا تخاف منه لو عرفته .
ـ انك تبالغين . لعلك تشعرين بانك مجرمة في حق سليم . اما انا فقد شعرت بهذا الجرم منذ اول لحظة

رأيتك فيها .

ـ ان الشعور بالجرم يلذ لي . فالحب لا يعرف لذته الا من يحب حبا مجرما .

فدهشت لقولها ، وترددت لحظة قبل ان افوه بشيء: هل خدعت رباب سليم كل هذه الايام بمظهر العفاف وهي في الحقيقة متهتكة ؟ وهل جاءت الآن الي لتدخلني في دائرة تهتكها ؟ سألتها :

« ماذا تعنين ؟ »

ـ فسر قولي ما شاء لك التفسير . خذني الى الاستديو ولننظر الى الصور .

وما كدنا نخطو خطوتين حتى كنت نسيت كل شيء سوى هذا الجمال الخالص يتثنى عى صدري . ولا اذكر شيئا مما قالته رباب حين جعلت تتفحص الصور ثم تعود الي ، ثم تعود الى الصور ، الا تلك الكلمات التي فاهت بها في النهاية هامسة في اذني :

« اشعر بهواك كأنه نهر فاض من صدرك فغمرني بسيله ـ وكاد يغرقني . اتدري انني لم اذق طعم النوم لثلاث ليال متواليات ؟ »

فابتسمت وقد زهوت بحبها وقلت :

« امن اجلي ؟ »

ـ من اجلك ومن اجل سليم . لقد وقعت في الاحبولة التي نصبتها لنفسي .

ـ اما انا يا رباب ، ان ارقت فمن اجلك وحدك .

ثم نظرت فجأة الي نظرة جادة (ونظرات مثل تلك منها كانت احيانا تزعجني) وقالت :

« ما موضوع الكتاب الذي تكتبه ؟ »

« لست ادري بالضبط . اريده أن يكون كتابا يحوي بين دفتيه عصارة الحياة وقد تحولت الى خمر . الم تشعري قط بانك تريدين ان تلمسي جمال الاشياء بكل حاسة من حواسك : فتنة الوجوه والاعضاء ، روعة المياه الدافقة من الجبال ، طراوة اوراق الحشيش، صلابة اطراف الشوك ، اتساع زرقة السماء ، الى آخره ، الى آخره ؟ ولكن هذه قطع متناثرة ، تتصل بعشرات القطع الاخرى ، اريد ان ادمج بعضها ببعض ، واستخرج منها تراكيب جديدة . »

« والقبح ـ اليس له مكان في كتابك ؟ قبح الجوع والمرض ، قبح البيوت التي لا يدخلها هواء ولا شمس ، قبح الحياة وقد امتدت بها السنون ولم تعرف يوما طعم الحب . »

« لا شك ، لا شك . بل انني سأجعل القبح جزءا لا ينفصل عن الجمال ، فالقبح في ثنايا الجمال ، غير ان الجمال يطغي على كل ما سواه ويحول القمامة الى ذهب » .

وعندئذ وقعت رباب بين ذراعي وقالت :

« لقد شعرت في نفسي بقبح اخاف منه . انقذني منه يا انور ، وحوله بسحرك الى جمال ... » .

واتفق عصر ذلك اليوم اذ كنت خارجا من احدى المكاتب التي اتردد عليها ، ان مر بي سليم الجابي في سيارته ، فهلع قلبي ، ولما ظننته انه لم يرني حمدت الله. غير انه رآني فاستمر في السير الى آخر الطريق لكي يدير سيارته الى الخلف ، وعندما ادركني اوقف السيارة وقال :

« مرحبا يا انور . »

ـ مرحبا .

ـ تفضل واصعد الى جانبي ، ان لم تكن مشغولا .

ولم استطع رفض الدعوة فجلست الى جانبه وانطلقت السيارة في هدوء . ولم يقل كلانا شيئا لدقيقتين او ثلاث ، وانا اعاني الشعور بجرم ما فعلت ذلك الصباح . غير انه قطع حبل الصمت وهو ينظر الى الامام :

« لم ار رباب منذ اسبوع . »

ودخل بالسيارة في شارع آخر . وقلت :

« لماذا ؟ »

ـ لست ادري . ما رايك في شيء من الشاي في هذا المقهى ؟

فنزلنا ، ودخلنا مقهى صغيرا وجلسنا في احد الاركان وطلبنا شايا . ثم اخرج سليم سيجارة وقد بدا عليه وجوم لم آلفه من قبل واشعلها وقال :

« من الغريب يا انور انني لا اتحدث بشان رباب مع احد الا لك . يلوح لي ان كلينا قد استانس اليك ، ورأى فيك صديقا وناصحا . »

فطفت علي لعبارته تلك موجة من الالم ، كانني رأيت شخصا عزيزا يقاسي سكرات الموت يستنجد بي فلا استطيع مد يدي اليه ـ لانني انا الذي سببت له الموت . فقد كان في وجه سليم وعينيه ما ينم عن يأس بدا يستقر في قلبه ، ويسري في عروقه .

قال : « انني اخشى ان افقدها . لقد اوقفت عليها حياتي في السنة الاخيرة حتى ما عدت اتصور الحياة بدونها ممكنة . ولو لم يكن لعنادها لتزوجنا منذ اشهر . »

فقلت : « ولكن ما سبب خوفك هذا ؟ ماذا حدث ؟ »

ـ لم يحدث شيء . كل ما هنالك هو انني صرت المح فيها برودا لم اعهده من قبل . وعندما صارحتها بذلك قبل بضعة ايام غضبت وقالت نافرة : « لقد سئمت الحياة، بل كرهتها . ولا أرى في حياتك الا فراغا لست اطيقه اكثر من هذا . »

ومنذ ذلك اليوم لم ارها ، وكلما حاولت الاتصال بها تليفونيا لم تكن هناك . يبدو انها ترفض ان تخاطبني حتى بالتليفون .

وعن لي حينئذ ان اطلعه على مجيئها الي في ذلك الصباح غير انني ترويت قليلا وغيرت رأيي ، وقلت :

ـ التتمة في صفحة ٧٢ ـ

جبرا ابراهيم جبرا

محطة مهجورة وساعة بلا عقارب

للآنسة ثريا صلاح الدين

القاهرة

وقفة مستديمة لقطار في محطة مجهولة
واتسع حولك الفراغ
ولم يملأه حتى العدم
الساعة في المحطة الفارغة ليس لها بندول
وليست لها عقارب ، وليس فيها زمن
أيكون للعدم زمن !!
وضوء المكان شفاف لا لون له
وهواؤه لا ذرات فيه ولا وزن له
واتساعه لا نهائي ولا حدود له
وفي اللاشيء الذي تحسه ..
في الفراغ الكبير ينبثق شعور بالامحاء ..
فيمحى كل شيء . حتى شعورك
ومركبة القطار المهجورة .
ما تحققت في مادة قط
وقضبان الطريق اللامرئية
تأتي من ورائك من بعيد
وتمضي امامك الى بعيد
والجرس .. الجرس لا معدن فيه
ولا صوت له
والرصيف لا احجار فيه ولا ارتفاع له
والطريق لا معالم فيه ولا امتداد له
والعدم يملأ نفسك كلها
يكسوه وجودك الخارجي
لكن عقلك لا يعيش فيه
فقد اصطرعت فيه المركبات
وتشعبت فيه الطرق
وتاهت فيه المفازات
وحطمته ضجة الاجراس
فانسرب منك في مفترق الطريق
ماضيا الى المحطة المجهولة ...
المحطة المهجورة
ملقيا احماله ..
منصتا الى الساعة
التي ليس لها بندول
وليست لها عقارب ..
وليس فيها زمن
أيكون للعدم زمن !!



يكتبها
الياس خليل زخريا

الاصابع الشفافة

تجمعت في مضام شفتيها اواصر الكلمة .
تفتحت على طاق الدنيا عينيها
... الصغيرة ، الصغيرة ، عينها ...
...الشعة من رخام الامل الصافي في مقع الحياة
وتحركت في الوداع ... سمته الوداع ...
وتحركت في اللقاء ... سمته اللقاء ... نحافة
الاصابع الشفافة في لهفة المناداة

ورق الورد يتلوى في الندى والبياض على زهرية
الضياء .
سحابة فجر تترتل على الصبا في اطاريف
اطاريف مغزل النهار ...
خميلة الزنبق ، خميلة الناردين ، تتنفس على
مقعد الفصول في مجالس المحبة
... وبشائر تتدافع من النوافذ ...
... وبشائر تتهدل من الجدار ...
وحكاية امل تجسدت تجسد النشوة على الفصول
في عناقيد الدوالي ، دوالي العمر المثمر .
طيف هارب تجمد في عتبة الخاطر
... حتى الحجر ، حتى الخشب اليابس القاسي
اورق فيه زمنه

المصراع الضيق

ادخل الى البيت العالي على السكت من مصراع الباب
... من مصراع الدنيا الضيق ...
... ندفع المفتاح فتهلل على مركبتها الواقفة ...
... تنهض ، وتنهز ، تتفتق ، وتتنزع ...
تود لو تقطع زنارها المشدود على خصرها اللين

...زنارها المسمر الطرفين على جوبتي العربة ...
تكون لها في مدة العمر خصر نحيل ...
خصر لين ينعقد بجفني العين انعقادا ...
... وعنق تبسطه لاوائل القبل ...
... وذراع في الغنج والتطويق ...
... وخصلة شعر ...
عرف الهدهد في شجرة العنب
غصن الآس في مطالع تلة
سنبلة الخير في نسمات الحياة المباركة الصافية
هفة بخور في مجامر الصلاة
تمسح الخد بالشفتين كأنها تقبل
... لها سننان فوق ...
... لها سنان تحت ...
تعض بها خفيفا كل شيء
كأنما اسنانها حروف لما تولد كاملة من ذهن النفس
... حادة ولكنها لا تقطع ...
... كلمات بياض في مفتح الفم ...
كلمات نبتت لها سن نبتت لها كلمة

تنمو اللفظة ، ينمو الصوت ، في شفتيها نموا متمهلا
تعض باسنانها كل شيء ... طرف زنارها ...
طرف ردائها ..
يدي .. يد الغامر .. يدها .. فم زجاجة الحيب .
دمية المطاط ... قطع الورق
بينها وبين الورق قساوة
ما قبضت يدها على ورقة الا مزقتها باسنانها
واصابعها تمزيقا ... تجعيدا
كأنما الورق طعام الكبار
ثقيل على عينها الورق

هجمت امس على صورة طفل ضاحك في كتاب ملون
كأنها تناديه ... كأنها بغتت لمحا . ثم رمت الكتاب
ارضا تبكي وتترامى في التنقل السريع من بين
يدي الى غلة الحنان في صدر امها الرحب ..
تتنقل طول النهار وطول الليل من يد الى بسطة

يد من منقلب الكتف الى مدافيء الصدر
... على اجفاننا واجفان الناس ...
جناح الطير لا يحط الا على غصن ...
موسم العبير لا يرف الا في فتحة الهوى

المرآة

●

شددت خدي الى خدها في المرآة
قليل من حيرة الكبار
حتى وجهها لجديد في عينها الناظرة
ما هو هذا المتلالىء في الداخل
تمد اصابعها فيمد اصابعه ...
العين في العين ... الفم في الفم ...
الحركة في الحركة ... وتتعب ..
ان النظر في المرآة جامد متعب
وتبكي في الضجر
ويمر في عينها شبه التفات
ما اكتمل بعد في مقلتها خيط النظر
كانها غفلة ذهن ضائع بين
نفحة ورد ونفحة انقطاع شيم
لا تنام الا في اهتزازة المناغاة
تتلوى في مساعي الغفوة بعضها على بعض
ورق « المستحي » ينطبق على نفسه انطباقا
... خجل من لمسة الاصابع ...
... متعب من نظرة العين ...
... ضنين بسره كانه هو عمق السر ...
وتستيقظ هامة بالوقوف
ما تركزت بعد قدماها في صلابة التراب
تتمايل في الضعف على الهوى
تستند اليه بالمرفقين وتهوى
خيوط النفس شباك تحت قدمها المتعثرة

اي امل نما في ارضنا نعمة
نفحة تفاح من شجر الجنة
يتدفق جسمها الصغير بالامل كانه برعم
الزمن في واحة الربيع
طهارة ملأى بالسر يقف فيها العقل
اغمض نفسي عن المطاف لكي لا يضلني الخاطر الجامح
... نبتت مني نبتة ...
انظر انا فيها كما تنظر هي نفسها في المرآة
... مرآة في وجه مرآة ...
العين عين ، الفم فم ، والحركة هي الحركة
والنظر في مرآة اللحم والدم بعيد المدى

صفاء شفاف اتجمد فيه ولا اتحرك
كلما جمح بي الخيال وعتني نغمات النعمة
سد الموسم الطيب على ذاتي طريق التنفس ..
طريق الظن في وادي الحياة
ما احتبسني الزمن ولكن احتبستني الحياة ..
والوان الحياة

المرفأ الهادي

●

... انبثقت منك قدرة القادر ...
... مشت الارض في لحمك ودمك ...
... صار لك مرفأ هاديء ترسو فيه ...
عميق كأنه نفسك .. مرآة تنعكس في مرآة
... شفاف كانه بياض عينك ...
... سماء تنعكس في سماء ...
... رحب كانه سعة اضلاعك ...
... نقي كانه شرابك ...
ماء ينعكس في صهباء في نشوة
ما تجعدت الحياة في لونه النضر الطيب
اصابعه شموع حنية .
همساته مباخر هياكل .
تشتمه فلا تشبع
بروي ولكنك انت العطش الدائم
نفحك ينطوي في نفحك
صوتك يمتد في صوتك
تنظر عينك في سواد عينك
يتحرك انفك في شموخ انفك
مشت الارض عنك في لحمك ودمك
نواة فجر ازميل القدر منها نواة
اباريق تصب في اباريق
وساقية هي الدنيا ، هي انت ، تخمر
اصول العمر في خوابي الشوق
حدثنا الابريق الملفح القديم عن فم الينبوع قال :
في ماء كوثر ينبع من مائي ...
.. ظمأ مقدس ينبع من ظمأ
وبين الظمأ والارتواء تتفجر الحياة على
اصابع الله في ساعة النعمة .

لو أنا باصابع التراب شفاه الاباريق
لن نحطم الأجر الا على صخرة الجنة
نبت منا نبات سماء

الياس خليل زخريا

الشـلال

✳

بعثتَ شجوكَ الحاناً تهيج بها غافي الشجون من المحزون نيرانا
ما كنت تقصر عن شكوى ترددها في الصبح شجواً وفي الامساء ارنانا
وشهقة تلو أخرى رحت ترسلهـا من صبوة فغمرت الليل احزانا
لما شدوت بمزمار الاسى اصطفقت لك القلوب وحلت الكون آذانا
وناحت الطير كالولهـان أجهده عبء الاسى فبكى وجداً وتحنانا

* * *

تساقط المـاء من مجراك منهمراً كديمـةٍ هطلت سحـاً وتهتانا
أكان مـاؤك هـذا مزنة خلصت لمـن أتى وردك اللجيَّ ظمآنـا
أم دمعة الوجـد تزريهـا لمبتئس أتاك ينشد أحبابـا وأوطانـا
ترغي وتزبـد في مجراك من صلف معربداً وتجوب السهل سكرانا
وتقذف الماء أرماحـا مثقفة ترمي بهـا كبد البيـداء غضبانـا
يبكي المتيم ما هـاج الحنين بـه في ظلمة الليل أحبابا وخلانـا
وانت تقضي الليالي دون ما سببٍ كالمستهام شتيت اللب ولهانـا

* * *

كأن ماءكَ ذوب النور منسكباً من يانع الفجر اشراقا واحسانـا
يُبدل النور صمت الليل أغنية ترنُّ في مسمع الجوزاء ألحانـا
وانت تخلق من جـدب الصعيد اذا لمست تربته الكأداء بستانـا
كم من يدٍ لك عند الارض صالحة تفوح بالطيب كافورا وريحانـا
بسطت كفك للعافـين من كرم كأنـك الغيث اغـداقا وتهتانـا
ومـا مننت عـلى عافٍ شفيت له أواره أو رددت العمر انسانـا
تفيض بالبذل والاحسانُ مستبقاً سؤال كل لجوج رام احسانـا
وغاية الجود بذل دون مـا طلبٍ يندى الجبين له ذلا واشجانـا

عدنـان مردم بـك

دمشـق

تمثيلية قصيرة للاذاعة

ازمة ماء

بقلم سليمان موسى

[يسمع قرع على الباب على فترات متقطعة [1]]

عطاف ـ (بصوت منخفض) من هذا الذي اصبح موكلا بازعاجنا والشمس لما تبزغ بعد ؛ يا لانانية هؤلاء الناس الذين لا يفكرون الا بانفسهم ... (بدهشة) يا الهي ، لقد بلغت الساعة الثامنة ونحن ما نزال نيام .

(يقرع الباب) من هناك ؟

انعام ـ انا انعام يا عطاف .

عطاف ـ تفضلي يا انعام . تفضلي

(تفتح لها الباب)

انعام ـ أكنتما تزالين نائمة؛ اعذريني يا عطاف فقد ظننت انك كنت منصرفة لعملك في المطبخ ولم تسمعي القرع على الباب .

عطاف ـ لا تعتذري ، فنحن لم نتعود النوم حتى هذه الساعة المتاخرة من الصباح ، ولكني سهرت طويلا ليلة امس مع مروان ، وها هو ما يزال نائما حتى الان .

انعام ـ اما يزال زوجك نائما ؛ سانصرف لتوي . اسمحي لي فقط ان املأ هذا الابريق ماء من عندكم .

عطاف ـ يا له من طلب سهل لو كان عندنا شيء من الماء .

انعام ـ ارجوك لا تمزحي ، فانا على عجلة من امري ، وقد تركت الاولاد وحدهم في البيت .

عطاف ـ صدقيني يا انعام اني لا امزح ، وتعالي تفرجي على جرتنا فما فيها ولا قطرة واحدة من الماء .

انعام ـ امر" عجيب حقا ، لقد انقطع الماء عن حينا منذ يومين ، وظننت اني سأجد عندكم ولو قليلا من الماء فالاطفال لا يعذرون ولا يصبرون .

عطاف ـ حقا يا عزيزتي ، وانا آسفة كل الاسف ، اذ انقطع الماء عن حينا ايضا منذ يومين، وقد قضى مروان امس ساعتين يبحث حتى جاء لنا بنصف صفيحة ماء بعد الجهد الجهيد ، ولولا الاقتصاد الشديد لما استطعنا ان نصنع عشاءنا مساء امس .

انعام ـ وما العمل ؟

عطاف ـ هذا هو السؤال الراهن .. ما العمل .

انعام ـ ان مشكلتكم اهون من مشكلتنا اذ ليس عندكم اطفال . لقد افاقوا من نومهم باكرا فاضطررت ان انبه زوجي من نومه ، وان اطلب اليه مغادرة المنزل لشراء صفيحة ماء مهما بلغ ثمنها، وقد انقضت ساعة على خروجه دون ان يعود .

عطاف ـ لن يلبث ان يعود ومعه الماء

انعام ـ المهم في الامر اني طلبت اليه ان لا يعود الى المنزل الا وقد جلب الماء واخشى الا يجد ماء فلا يعود فعلا .

عطاف ـ لا يشغل بالك هذا . واين سيذهب ؟

انعام ـ لو وجهت له هذا السؤال لضحك كثيرا ... اننا نعتقد ان الرجال يتعشقون تحمل المسؤوليات ولا يطيقون العيش الا اذا اخذوا على عواتقهم عبء امراة ـ او اكثر لا سمح الله ـ بالاضافة الى جمهور اطفال من مختلف الاعمار . وهذا خطأ يا عطاف . تيقني ان قوة العادة هي التي تشد الرجال الينا . ولو نفذوا ما يجول في خواطرهم لما احتملوا الحياة مع امراة طويلا .

عطاف ـ لا شك انك تبالغين .

انعام ـ اسالي زوجك عندما يفيق .. آه . لقد تأخرت كثيرا عن الاطفال . ولا ادري كيف اعود لهم دون ماء . آه يا الهي ما العمل .

عطاف ـ انا آسفة ، وساطلب لمروان ان يبحث عن ماء فاذا وفق في بحثه اقتسمنا الماء بيننا .

انعام ـ شكرا لك على كل حال . وداعا .

عطاف ـ رافقتك السلامة يا عزيزتي

(تخرج انعام)

(تغمغم) قوة العادة هي التي تشد الرجال الينا ... يا لها من فكرة مريعة موجعة تهز الاعصاب (فترة صمت وجيزة) ساعد الشاي واجهز طعام الافطار وبعد ذلك سأرى اذا كان هذا الطفل الكبير يود مبارحة الفراش .

(قرع على الباب)

عطاف ـ من يقرع الباب ؟

صوت امراة ـ أعندكم ماء يا اختي ؟

عطاف ـ ماء . ماء . ومن اين يأتينا الماء . آسفة يا اختي فلا يوجد عندنا ماء .

وكيف اعد الشاي دون ماء . يا لغبائي (تنادي) مروان . مروان : انهض ، انهض ، الساعة تقارب التاسعة .

مروان ـ (يتمطى ويتثاءب) وماذا يهمك لو صارت الساعة العاشرة . اليوم الجمعة ، يوم عطلتي الاسبوعية . الا يحق لي النوم ؟

عطاف ـ اسعد الله صباحك يا ابن عمي . انك تنسى دائما انك يوم

---

1) اذيعت من محطة الاذاعة الاردنية . لم يهطل سوى النزر اليسير من الامطار خلال فصل الشتاء الماضي ، وقد تسببت قلة الامطار في شح مياه الانهار والينابيع عموما وفي شح مياه الشرب خصوصا . وموضوع المسرحية مستمد من واقع الازمة .

الجمعة تقوم بوظيفة رب البيت .

مروان — (يضحك) يوم الجمعه فقط ! وباقي ايام الاسبوع ماذا اكون ؟ صفر حافظ منزله ؟

عطاف — لا سمح الله . انك تكون مدير المصرف فقط

مروان — اراك متفتحة القريحة هذا الصباح . ماذا حدث وماذا جرى ؟

عطاف — تفتحت قريحتي بسبب انقطاع الماء .

مروان — الماء . الماء ! أننام ونحن نهجس بذكر الماء ، ونصحو ونحن لا نزال نهذي باسم الماء ؟

عطاف — ضروري يا سيدي

مروان — لا يا سيدتي . يجب انتعود على الاستغناء عن الماء . ألم يعلموك في المدرسة ان الانسان يجب ان يتعود على الحرمان حتى اذا اصابه مكروه استطاع ان يحتمل . ثم ان الجمال تستطيع الاستغناء عن الماء اسبوعا من الزمن ، فلماذا لا نقتدي بالجمال ونمارس هذه الرياضة الفاضلة ؟

عطاف — هذا مستحيل يا مروان .

مروان — مستحيل ! ولم لا تضربين قدمك بالارض كي تؤكدي اقوالك وتسبغي عليها معنى الامر العسكري و.. و..

عطاف — سامحك الله .

مروان — وهذا يعني اني قلت ما لا يصح ، وتجاوزت حدي الى الارض الحرام او الى المنطقة المجردة على الاقل ... على فكره ، ما رايك لو اقتدينا بالامريكان يوما واحدا في العمر .

عطاف — وهل الامريكان كالجمال يشربون الماء مرة كل اسبوع ؟

مروان — ناوليني قميصي من فضلك، ناوليني قميصي ، سأرتدي ملابسي وامضي عنك .

عطاف — وكيف نقتدي بهم اذاً ؟

مروان — بالجمال ؟

عطاف — لا بل بالامريكان

مروان — بان نتناول طعامنا في المطاعم

عطاف — لا مانع عندي ، فهذا يوفر علي اعداد الطعام وغسل الصحون . ولكن اخشى ان لا يكفينا راتبك اسبوعا واحدا على هذا المنوال . ثم اني لا استطيع الخروج من المنزل دون ان اغسل وجهي بالماء

مروان — ولم لا ؟

عطاف — لانني تعودت ان اغسل وجهي كل يوم . وهذا اضعف الايمان .

مروان — ولماذا لا تحطمين هذه العادة المزعجة ؟ أتراك تظنين ان جداتك كن يغسلن وجوههن بالماء كل صباح ؟

عطاف — لا تسخر من جداتي . لا شك انهن كن يغسلن وجوههن دائما . أما اجدادك فمن المؤكد انهم لم يكونوا يحلقون ذقونهم كل يوم .

مروان — هذا حق . اما انا فلم اعن جداتك قبل مئة سنة او الف سنة، بل جداتك وجداتي انا ايضا قبل عشرة الاف سنة .

عطاف — كفى مزاحا يا اخي .

مروان — وحقك اني ابعد ما اكون عن المزاح . ثم أتظنين ان النساء لم يكن يتبرجن على طريقتهن الخاصة يومذاك ؟.. على فكرة ، ارجوك ان تاتيني بشيء من الماء الساخن لاحلق ذقني .

عطاف — (تضحك) صدقَ من قال ان شر البلية ما يضحك . ولماذا بالله عليك لا تقتدي باجدادك الكرام الذين كانوا يطلقون لحاهم ؟

مروان — انت تعلمين ان الفضائل لا تورث . والان استودعك الله .

عطاف — رافقتك السلامة ... على فكرة ، متى ستعود ؟

مروان — متى سأعود ؟ قريبا جدا . سأجلب لك الماء يا سيدتي ، يا بنت عمي ، يا نور عيوني ولو اضطررت ان انقله من البحر الميت

عطاف — البحر الميت ؟ ولكن ...

مروان — ولكن ماذا ؟ ماذا ؟ آه منكن لا يعجبكن العجب ولا الصيام في رجب ... لقد افسد الشعراء افكار النساء ، فيا ليت جهنم تتسع لكل النساء والشعراء .

عطاف — مالك ؟ أتهذي يا مروان ؟

مروان — لا وحقك ، لا وحق شاعرك المبجل الذي ذهبت بلبه احدى جداتك فقال :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

فجررن ذيولكن حتى تقوم الساعة او يفقه الرجال (يخرج)

عطاف — مروان . مروان . آه يا الهي من كيد الرجال .

القسم الثاني

(المكان ذاته بعد ثلاث ساعات)

مروان — اوف ، يا له من حر خانق ، ان جسمي كله يتصبب عرقا .

عطاف — اراك قد عدت بخفي حنين

مروان — أهكذا تستقبلين زوجك يا امرأة ؟

عطاف — وكيف تريدان استقبلك اذاً . ابالرقص والغناء ام كما يستقبل الفاتحون ؟ اعذرني اذ لا اجيد الرقص والغناء ، ولا ادري كيف يستقبل الناس الفاتحين .

مروان — مهلا ، مهلا . احدث في غيابي ما يستوجب هذه الثورة ؟

عطاف — لم يحدث الا انك تأخرت كثيرا . لقد انقضت ثلاث ساعات منذ مغادرتك للبيت .

مروان — آه ، أهذا كل شيء ؟

عطاف — الا تجد هذا سببا كافيا او معقولا ... « أهذا كل شيء » ؟ تقولها بكل برودة ، كأنما عواطفي ليست بذات اهمية لديك ، وكأنما لا تريد مني ان افتح فمي بالشكوى الا اذا حدث زلزال او قامت القيامة

مروان — اذا حدث زلزال او قامت القيامة فمن يدري ما سيحدث . ربما يحدث لك ما يعوقك عن الشكوى .

عطاف — تعني اني ربما اموت ... هكذا بكل بساطة .

مروان — لا سمح الله . لا سمح الله. ايبلغ سوء ظنك بي حدا تحسبين

معه اني اطيق التفكير بامر فظيع كهذا ؟..

عطاف ـ (بحنق) ايها المسكين ، ايها الرجل الطيب القلب ، انك تقترح شيئا كهذا ولكنك لا تطيق التفكير فيه ... يا للسخرية الجارحة .. ترى متى يجيء ذلك اليوم الذي تنتصف فيه النساء من الرجال . لقد طالما كابدنا من مظالمكم ، طالما احتملنا وصبرنا . دائما ابدا لكم الغنم وعلينا الغرم وانتم انتم ...

مروان ـ ونحن نحن ... رفهي عن نفسك قليلا يا عطاف . ماذا اصابك اليوم . ماذا جرى لك .

عطاف ـ لم يصبني شيء . انك لا تصدق ان شيئا ما اصابني الا اذا انكسرت لي يد او ساق . والحمد لله ان توما كان رجلا . ولو كان امراةما خلصتالنساء من اقاويلكم . وهكذا انتم دائما لا تنظرون للمراة كما تنظرون لانفسكم ، فهي ليست في نظر بعضكم سوى خادمة وليست في نظر البعض الاخر سوى دمية . وفي كلتا الحالتينلا تعترفون بانسانيتها ، ولا تقرونبان الذي خلقكم خلقها ، ولم يبخل عليها بشيء مما انعم به عليكم .

مروان ـ لا تنسي ان حواء لم تكن الا ضلعا من ضلوع آدم .

عطاف ـ ولا تنسَ انت ان ذلك الضلع ذهب من جنبي كما ذهب من جنبك .

مروان ـ واخيرا ؟

عطاف ـ اود ان اعرف اين قضيت هاته الساعات الثلاث . وكيف تسمح لنفسك ان تضيع اوقاتك سدى وتتركني في وحدة تمزق الاعصاب .

مروان ـ ما كنت اظن انك عصبية المزاج الى هذا المدى . واشهد اني لم أرك في حالة هياج كهذه منذ زواجنا .

عطاف ـ لا تبتعدعن النقطة الاساسية من فضلك ، وكفاك مراوغة وتفلتا ... اود ان اعرف كيف قضيت هذه الساعات .

مروان ـ حسنا ، حسنا ، ولكن كيف يتاح لي أن اجمع افكاري التي بعثرتها ثورتك في الآفاق الاربعة ؟

عطاف ـ كما تشاء . سألتزم الهدوء قليلا . فتفضل بالحساب لا فض فوك .

مروان ـ اهو حساب أم عتاب ؟

عطاف ـ صبرا جميلاوبالله المستعان. الا تخشى ان ينفد صبري يا رجل؟

مروان ـ (يضحك مقهقها) واذا نفد لا سمح الله .

عطاف ـ اذا نفد صبري فسأحطم كل شيء في هذا البيت ، بل سأقلبه كله راسا على عقب . سأمزق شعري وارحل عنك بعد ان صممت ان تجعل من حياتي معك جحيما لا يطاق .

مروان ـ يا سيدتي ، يا بنت عمي ويا نور عيني . سأشرح لك تفاصيل هذه الساعات المشؤومة ، فبعدما غادرت البيت ذهبت ابحث عن موظف البلدية المسؤول عن الماءفلم اعثر عليه الا بعد ان تجولت في عشرة شوارع وعندما سألته عن وعده بشأن ايصال الماء الى حينا ، قال انه لا يزال عند وعده لي ولكنه لا يدري متى سيتمكن من الوفاء بوعده .. لا يدري أيكون ذلك بعد يوم ، او بعداسبوع ، او بعد شهر ، أو حتى يحل فصل الشتاء .

عطاف ـ هل بلغت به الاستهانة الى هذا الحد ؟ هكذا داب هؤلاء الناس لا يذكرون حاجاتنا الا عندتحصيل الضرائب .

مروان ـ وهكذا يا عزيزتي غادرته يائسا ومضيت في بحثي . وفجأة الفيت نفسي أقف امام مطعم « السعادة » فولجت المطعم معللا النفس بالحصول على بغيتي فيه ولكن صديقنا « ابو صياح » اعتذر قائلا ان الماء لا يقدم الا مع اصناف الطعام وكم دهشت اذ رأيت قائمة الطعام وقد سجلوا عليها كلمة « ماء » بحروف بارزة ، وسمعت النُدُل يسألون رواد المطعم عما اذا كانوا يطلبونالطعاممع الماء او بدون الماء .

عطاف ـ كفى سخرية يا مروان . اتظنني من الغفلة بحيث اصدق كل ما تقول ؟

مروان ـ لا تصدقي . ولكني سأصطحبك الى مطعم ابو صياح لتري بعينك وتسمعي باذنك .

عطاف ـ وبعد ؟

مروان ـ وبعد ذلك مررت بالصيدلية

عطاف ـ الصيدلية ! ولماذا ؟

مروان ـ طلبت ماء من الصيدلي الا تحسبين ان الصيادلة ما كانوا يتوانون عن اختزان الماء وبيعه بالميزان لو كانوا يتوقعون حدوث هذه الازمة الملعونة .

(يسمع قرع على الباب وصوت رجل)

الرجل ـ لقد جئتكم بالماء يا سيد مروان .

عطاف ـ ولماذا لم تقل لي انك جلبت ماء معك .

مروان ـ عفوا . ولكن سيادتك لم تتركي لي فرصة للكلام .

عطاف ـ لك الحق فعذرا .

مروان ـ يا للقول المعسول الذي يندر ان تتلفظ به امرأة .

(ثائرا) انك تهدديني بان تقلبي البيت راسا على عقب ، وان تمزقي شعر راسك وان تغادري المنزل دون اسف . ولو سمحت لنفسي ان استرسل على سجيتي لاستنجدت بالملائكة كي يعاونوني على قلب البيت ، وعلى تمزيق شعر رأسي ، وعلى الفرار ...نعم الفرار من مسؤولياتي ومن طلباتك المتكررة ، ومن كل هذه القيود الناعمة التي تكبلينني بها فتكاد تزهق روحي .

عطاف ـ لك الحق .

مروان ـ فهاتي قبلة ودعينا نبدأ نهارنا من جديد .

عطاف ـ يا لك من طفل كبير عزيز .

[ختام]

الاردن ـ المفرق **سليمان موسى**

حكايتك

حدثتني عنك ...
همسها رفيق ،
صوتها رنين ،
هو ربيع ، قالت ،
هو رواء
وصفاء ...

*

حدثتني عنك
برف الاهداب
بغمز الجفون
هو غمام ، رددت ،
هو أثير
وعبير ...

*

حدثتني عنك
عن جنات الخلود
في الظل جلست ،
تفرفط أساطيرها
على مسمع الليل ،
في دوي البحر
في عويل العاصفة
في هديل الحمام ...

*

روت لي حكايتها ،
حكاية لحنك ،
يوم عشت على الارض ،
يوم ذرّيتَ الغيوم ،
على خدّ الربى سالت ،
دموعها كوثر
نغمها حلاوة ،
فابتسمت زهرة هنا
واستنار درب هناك

*

يومها ، قالت
مررت على الدرب
كالبرق ...
رجّع الوادي صدى
اعترفت انه صداك ..
تنادت الجبال
وسجدت اشجار الغاب
خاشعة في محرابك
وحملت عشتاروت
كأس بخور ..

*

في الصباح ... في القرية
تحدثت عجوز
وهي تردّ شالها الرمادي
روت لجارتها ،
وأقسمت بالله ،
ان بيتها يطفح بالعرف ...
برائحة البخور ...

املي ابي راشد

قـصـة عراقـيـة

حسن افندي

بقلم عبد الله نيـازي

° ° °

ـ منو ما كاص .. منو ما عنده بطاقة ؟

ولما لم يجد الجابي من يناديه او يلوح له بالثمن ، استدار يشق له طريقا بين الركاب الى الدرجة الثانية وهو يتوسل اليهم بلطف ان يفسحوا له مكانا للمرور من بينهم .

وحين وجد نفسه بالقرب من الجرس ارتفعت يده مـــن تلقائها وضغطت عليه ، وبحركة آلية اخرى مد السائق يده الى يمينه فادار الآلة التي يفتح الباب بها ويغلق ومن ثـم جعل « الباص » يتململ ثم راح يسير الهوينا ..

كان الزحام شديدا ، وكان الركاب يلتصق احدهـم بالاخر التصاقا ، حتى أضحوا اشبه ما يكونون بكتلة واحدة من الاجساد تتفرَّع منهـا عـدة رؤوس ، ورغم ذلك فان بعضهم لم يجد بأسا في ان يدخن ويستمتع بدخانه فيرسله الى سقف « الباص » على دفعات .. وكان هذا ما يغيظ الراكب « حسن افندي » ويجعله يشعر انه يكاد يختنق ، فيلعنهم في سره ويلعن المصلحة التي تسمح لمثل هؤلاء ان يركبوا سياراتها ..

كان كل ما يصل اليه كريها عفنـــا يختلط بانفاس الركاب وروائحهم ، فاخرج منديله من جيبه ووضعه على انفه ، الا انه وجد ان مثل هذا العمل يكاد يعوقه عـــن التنفس ، فاعتدل في جلسته واعاد المنديل الى جيبه وهو يتميز غيظا ، ثم راح ينظر الى واجهات المخازن من وراء زجاج النافذة ، والى الناس الذين يسيرون على الرصيف ، ولكنه وجد ايضا ان مثل هذا التلهي او الانصراف عن واقع « الباص » ، كما يهمس به لنفسه ، لم يكن ليفيد ، فمـــا زالت الروائح تصل الى انفه كريهة كما لو كان يضع انفه في مكان قذر ..

وجعل ينقل نظره في الركاب ويثبته في احد الذين كانوا يدخنون .. كان ينظر اليه بحنق وغضب . وكان يود لو انه يملك الجرأة الكافية فيقوم وينتزع السيجارة مـن فمه ويدوسها بقدمه ، ولا بأس في ان يلطمه على وجهـه اذا وجده على جانب هزيل من التربية او الاخلاق وقـد خمن انه كذلك ، فما كان يعترف ان احدا هنا قد نال شيئًا ولو ضئيلا من الاخلاق او التربية ، فكلهم في نظره بلهاء ، عديمو التربية الحقة ، وعلى جانب كبير من الغباء .. والا أكانوا يسمحون لمثل هذه الفتاة الجميلة ان تقف في وسطهم يدفعها هذا ويصدها ذاك ، ولا يجدون لها مكانا تجلس فيه؟!

لو كانوا فقط يشعرون بمعنى الكرامة والانسانيـــة لتخلى احدهم عن مكانه ودعاها الى الجلوس ، ولكنهـم فاسقون فجار ، يدعونها تقف بينهم ليحتكوا بها وقـــد يقرصها احدهم ... ـ تف ...

وشعر ان شيئًا في نفسه ينتفض ويثور ، فكل شيء في نظره يجوز التغاضي عنه الا الشرف .. وهم ان يفعل شيئًا .. ان يصرخ فيهم ، ولكن صوت الجابي الابح ارتفع.

ـ منو ماعنده بطاقة .. منو ما كاص ؟

وهنا قطع هذا الصوت سلسلة افكاره وجعله يتناسى كل شيء ويقبع في مكانه وقد ادار رأسه ينظر الى الشارع وواجهات المخازن من وراء زجاج النافذة .. فقد يجوز ان يقترب منه الجابي ويطالبه بثمن التذكرة ..

اي شيء سيحدث مثلا لو ان الجابي لم يأخذ منـه ثمن التذكرة ؟ هل ستخسر المصلحة ؟.. هـل سيصيب العجز ميزانيتها ؟!.. ثم ان مقاعد « الباص » لا تتسع الا لثلاثين راكبا ومع ذلك فان « الباص » يحمل اكثر مـــن خمسين راكبا ، فالمصلحة تحاول ان تستغله هو الموظـف القديم والمواطن الصالح وتسرق منه دراهمه في وضـح النهار ، فلو ان الذين يديرون المصلحة وسياراتها كانوا على شيء من الادراك او حسن التنظيم على الاقل ، لضاعفوا عدد السيارات ، وبذلك وحده يستطيعون ان يؤمنوا راحـة الركاب ، فلا يضطر هو الى استنشاق مثل هذه الروائـح الكريهة المنبعثة من هؤلاء الواقفين ، ولانتفى السبب الـذي من اجله يحجم عن اعطاء الجابي ثمن التذكرة ، فليس مـن المعقول ابدا ان يستنشق هـذا النتن المنبعث من هؤلاء الواقفين ومن ثم يدفع الثمن .. أجل ، ان هذه الروائـح النتنة لا يمكن ان تصدر الا عن هؤلاء الواقفين ، فهموحدهم يزفرون وينفخون ويسعلون ويدخنون كما لو كانوا فـي حدائقهم الخاصة..ولكنهم فقدوا الاخلاق ، فقدوها تماما.

آه لو انه كان يستطيع السير ولا تخونه قدماه في منتصف الطريق ، او لو انه كان على شيء من اليسر ، اذن لجعل ذهابه وايابه في سيارة تقله بمفرده .. يومىء فقط، يومىء فتقف السيارة ويفتح له السائق الباب بكل خضوع واحترام ، ثم يأمره ان يذهب به الى حيث يريد .. وبذلك

وحده يستطيع ان يتخلص تماما من مثل هذه المزعجات ، ولا يرغب على تنفس مثل هذا الهواء الملوث ارغاما ، فــان بامكانه مثلا ان يفتح زجاج النافذة ويدع الهواء النقي يتسرب اليها .. أجل انه كان بامكانه ان ...

وانتبه الى نفسه فجاة ، وراح يحدق الى نوافــذ « الباص » فهاله ان يجدها كلها مغلقة ، اذن ، فالسبب في ركود الهواء يعود الى عدم فتح النوافذ ، كيف غابت عنه مثل هذه الحقيقة ؟.. وكيف لم يستطع احد من الركاب ان يتنبه الى ما تنبه هو اليه .. الانهم فقدوا حاسة الشم ولم يعد احد منهم يميز بين الهواء النقي والهواء العفن ؟.. آلات صماء جامدة ، تروح وتجيء دون أي شعور ، دون أي تفكير ، آلات صماء ، ولكنها طافحة بالشر ، بالاثم ، بالفجور ، بكل ما هو قبيح ... ــ تف ..

وبصق ثانية بقوة على ارضية « الباص » ثم اخرج منديله ليمسح فمه ، وخيل اليه ان الذي يجلس الى جانبه راح ينظر اليه بالحاح ، بل ان الركاب كلهم ينظرون اليــه بفضول وقحة .. فأدار « حسن افندي » رأسه الى الشارع وجعل ينظر الى الركاب وهم يتدافعون الى « الباص » حيث وقف ، الا ان الجابي كان اسرع منهم ، فما كاد ينزل راكب واحد فقط حتى ضغط الجرس باصبعه ، فانطلق «الباص» يعدو دون ان يتمكن احد من الركوب ، فارتسمت عــلى شفته ابتسامة ساخرة جعلته يشعر بشيء من الزهــو والخيلاء .. انه يجد مكانا في « الباص » يجلس فيه دون هؤلاء كلهم ... ولكن هذه الروائح ...

وامتدت يده الى زجاج النافذة لتفتحها ولكنه انزلها بسرعة ، كما لو ان عقربا لسعته ، فقد تجسمت امــامه صورة الشجار الذي وقع في احد « الباصات » قبل ايام ثلاثة ، بين راكب وآخر حيث اراد احدهم ان يفتح النافذة ، فاعترضه آخر متعللا بالبرد الشديد وبالزكام الذي يقاسي منه الامرين ، ولما لم يأبه له ، قام هذا واغلقها بعنف وهو يلعن ويسب وتطور بسرعة الى الضرب بالايدي وكان هو قد وصل المنطقة التي ينزل فيها ، فهرول راكضا دون ان يدري أي شيء حل بالمتخاصمين لقد خشي « حسن افندي » ان يعترضه احد الركاب فيثير حفيظته ويخرجه عن هدوئــه ويضطره الى شيء لا يقوى عليه ، فهو ما زال يذكر عراكه مع ذلك الوقح « خلف » بائع الطماطة ، وكيف يسقط على قفاه بمجرد ان وضع يده على صدره ودفعه ، لانه حاول ان ينقص من الثمن خمسة فلوس ، صحيح انه استطــاع بعد ذلك ان يقوده الى الشرطة وان يشتمه هناك ويبصق على وجهه ، ولكن سقطته تلك جعلت الباعة كلهم يضحكون عليه ، ولكن اي شيء يفعل اذا كانت هذه الروائح الكريهة تكاد تخنقه .. هل يصبر عليها ؟ ولماذا ؟..

وامتدت يده ثانية ولكنه سحبها بقوة على صوت المفتش وهو يقول : ــ بطاقة ...

فلم يلتفت اليه « حسن افندي » وظل ينظر الــى الشارع ..

ــ بطاقة سيد ... ومد المفتش يده اليه .. وبحركة سريعة جعل « حسن افندي » ينظر الى يده ، ثم ادخلها في جيوبه وهو يبحث باضطراب ،

واخيرا قال : ــ وقعت ...

ــ متأكــد ؟؟..

ــ ماذا ؟؟.. هل تحسبني من هؤلاء ؟؟.. هل انــا بحاجة الى هذه الاربعة عشر فلسا ، ولكنك لا تعرفني ، انك بالتأكيد لا تعرف من انا ؟..

فنظر اليه المفتش بصمت ثم تركه دون ان يرد عليه ، واعتدل « حسن افندي » في جلسته قليلا ، وزحــف بجسمه الى الامام شيئا ، ومد يده الى شاربيه يعبث بهما وهو يتصنع الغضب والثورة ، ولكنه شعر بالزهو يملأ اعماقه كلها .. لقد استطاع ان يتحدى المفتش بكل جراة دون ان يستطيع ذاك ان يرد عليه بكلمة واحدة ، فهــل يستطيع احد بعد هذا ان يعترضه اذا هو اراد ان يفتــح النافــذة ؟..

وخيل اليه ان العيون كلها اتجهت اليه مرة ثانيــة وجعلت ترقبه بفضول وخوف ايضا .. اجــل انهم الان يخافونه .. انه استطاع ان يتحدى المفتش ، فامتدت يده بسرعة الى النافذة وفتحها بقوة ، وجلس ينظر الى الامام نظرات ثابتة فيها الشيء الكثير من التحدي .. بل انه جعل يمد انفه من النافذة ويتنفس بقوة كأنه اخرج توا من مكان موبوء .. ولكن العيون كانت ما تزال تحدجه بفضول وتحد ايضا ، وخيل اليه ان الركاب كلهم بداوا يتشاورون فيمــا بينهم لغلق النافذة ، ثم اخذوا يتهامسون شيئا فشيئا ، ثم يعلو الهمس ويتحول الى تحد واضح وصراخ وقح .. « .. اغلق النافذة .. اغلق النافذة .. » فلم يطق « حسن افندي » صبرا فالتفت الى الركاب وهو يرتجف والغضب يهز بضع شعرات في رأسه الاصلع ، وقال بقوة :

ــ لا اغلقها .. ما شأنكم انتم بها .. انني اكاد اختنق .. ثم انكم وقحون ، ها هي ذي الفتاة تقف بينكم ولم يدعها أحد منكم الى الجلوس .. و..

ولكن الكلمات الباقية احتبست في حلقه وجعل ينظر بذهول والحيرة تربكه ، لم يكن هناك احد يتكلم ، ولم يكن هناك من ينظر اليه .. فجعل يتمتم في نفسه ثم قام ينزل حيث وقف « الباص » في تلك اللحظة ..

غير انه ما كاد ينزل ويتلفت يمينا وشمالا حتى وجد انه قد اجتاز المنطقة التي ينزل فيها بثلاث مناطق اخرى .. فتطلع الى السماء الغائمة قليلا . ثم مضى الى الجهة المقابلة ووقف ينتظر قدوم « الباص » بصمت مطبق . وقد كانت يده في هذه المرة ممسكة بثمن التذكرة ..

بغداد عبدالله نيــازي

الوداع الاول

٥

في ثغر ليلى أثر ارتعاش
كشمعة تهم بالتلاشي
فقلت يا زهرة حبي ما الخبرْ
قالت غدا صباحنا السفرْ
فماتت الالفاظ في لساني
واحترقت من الاسى الواني
أحسست سكينا بصدري تقطعُ
وانفجرت بالرغم مني الادمعُ
وبعد حزن طال كالجبالِ
لملمتُ من جنازة آمالي
وقلت : يا مسحة كف ارحمِ
يا عبقا يهدر هدرا في دمي
ان غبتِ عني ساعة لا أصبرُ
فكيف لو مرّت علي الاشهرُ
فأجهشتْ كبحة في وتر
وتمتمت : ذلك ذنب القدرِ
وابتعدت تسير في اصفرارِ
كنغم ممزق القرارِ
وطلع الصباح كالعشيّه
على غصون ذبّل ملويه
وما رأت في وضح النهارِ
عيناي غير غمة احتضارِ
وأقبلت دوّامة الوداعِ
تدق رأسي في بعيد قاعِ
وجلجلت في مهجتي طاحونُ
كأنني قد مسّني الجنونُ
وبرزت ليلى بثوب ناري
تجر نور النجم في أزارِ
وابتسمت في رقة متضعه
كغيمة في مغرب مشعشعه
فما رأت عيناي منها مطلعا
أجمل مما برزت واروعا
وهدرتْ في دربي الانوارُ
يخنقها من حنق جبّارُ
وودعتْ ليلى بطرف باكِ
وانسحبت تسير بارتباكِ
وحينما صارت على السفينه
رفت فراشات الهوى طعينه
ودق قلبي دقة حزينه
كأنما حزّ النوى وتينه
وغابت الدنيا وراء الافقِ
وراء موج أزرق مصطفقِ
لم يبق الا طيف حلم ممتعِ
يبكي على ايامها في اضلعي
جرتْ نفسي آخر النهارِ
قيثارة مقطوعة الاوتارِ
وبدأت ظلمة ليل كابي
تهطل في قلبي وفي شبابي
كأنما بقيةُ النجومِ
توهجُ النيران من همومي
وانطلقت تزمجر الزوابعُ
كأنها في أضلعي تصارعُ
والريح تعوي والرعود تزعقُ
وفي عروقي نغم يحترقُ
فيا لها من ليلة مريعه !
عرفت فيها غضب الطبيعه

سوريا ـ حماه
عارف قياسه

التنظيم العائلي الحديث اصوله ووجهته

بقلم حسين علي الداقوقي
مفتش معارف لواء كركوك بالعراق

ο
ο ο

لم يدرس التنظيم العائلي دراسة موضوعية الا في الايام الاخيرة ، عندما اخذت شوائب الخرافات تتبدد امام وجه الحقائق ، والاباطيل امام الدرس والتدقيق ، وحين أخذ الفكر الانساني ينزع نزعته العلمية الصحيحة . وقد زاد الامر تحسنا حين تحررت مباحث علم الاجتماع من المسحة الفلسفية التي كانت تغلب عليها فتحررت معها دراسة التنظيم العائلي واصبحت موضع اهتمام كثير من المحققين . لقد حفز هؤلاء المحققين ما لاحظوه من الارتباك والقلق في كنف العائلة . لاحظوا كثرة حوادث الطلاق والانفصالات ، ووجدوا عوائل كثيرة من دون اطفال وشبابا عديدين من غير ازواج خاصة في مناطق المدن الامر الذي دفع العلماء الى ممارسة الطرق العملية في دراسة هذه النواحي وتطبيق القواعد العلمية الحديثة في معالجتها (١). فلم يكتفوا بدراسة العائلة الحديثة في مجتمعنا الحالي بل افادوا من معارف التاريخ والاثنوغرافيا ومن ارتياد المجتمعات البدائية فتعرفوا عليها ثم تتبعوا التغيرات التي طرات عليها والاشكال التي اتخذتها في المجتمعات المتقدمة والعوامل التي لعبت دورها في تشكيلها بهذه الاشكال (٢).

تعريف العائلة

تعرف العائلة بانها فئة اجتماعية صغيرة تتكون من زوجين وابنائهما ويبادل اعضاؤها العطف فيما بينهم ، وفي كنفها يترعرع الاولاد حتى يبلغوا حدا يبدأ عنده كل منهم بتكوين اسرة جديدة (٣) .

يقصد بكلمة العائلة ايضا الافراد الذين ينتسبون جميعا الى اصل واحد وفي هذه الحالة يكون المعنى اكثر اتساعا ويدل على عدة عوائل فردية (٤) ولكي تكون الفئة عائلة يجب ان يتوفر فيها شرطان اساسيان :

ـ رابطة القرابة بين مؤسس العائلة ـ الترتيب الحقوقي ، او الحقوق والواجبات التي يقدمها لها المجتمع والتي تترتب على هذه الرابطة (٥) .

خصائص التنظيم العائلي :

يقول الاستاذ مكاليفر « ان العائلة تتميز في كل المجتمعات مهما تباينت صفاتها بالميزات التالية :

ـ العائلة اعم الاشكال الاجتماعية في العالم تقريبا . وتوجد في كل المجتمعات وفي جميع مراحل التطور الاجتماعي كما توجد فيما دون المستوى البشري لدى الاف الانواع من الحيوانات . وكل كائن بشري اما ان يكون او كان عضوا في عائلة من العوائل .

ـ تستند الى حوافز التزاوج والتناسل واخلاص الامومة والعناية الابوية .

ـ وهي اول محيط اجتماعي لجميع اشكال الحياة العليا بما فيها الانسان .

ـ هي فئة محدودة الحجم اصغر نسبيا من جميع المنظمات التي تكون الهيكل الاجتماعي .

ـ وهي نواة التنظيمات الاجتماعية الاخرى .

ـ تفرض على اعضائها واجبات يلتزمونها حيال بعضهم بعضا بصورة لا توجد في اية هيئة اخرى وهم يؤدونها راغبين او كارهين . فقد يعمل الفرد لوطنه اشق الاعمال في ازمة من الازمات غير انه يسعى لخدمة اسرته ما بقي فيه نفس (٦) .

راجع فصل التنظيم العائلي في :

(1) Oghurn and Nimkoff: **Handbook of Soceology** (Kegan Paul)

(2) N. Sadak : Sosyoloji. p. 98

(3) Emory. s. Bogardus: Sociology (p.115) New York. 1945 The Macmillan Co.

(٤) لويس اسكندر : **الاسرة ومشاكلها** ص ٦

(5) H.Z. Ulken Sosyoloji (268 **فصل العائلة**)

(٦) راجع فصل العائلة في كتاب
مكايفر : المجتمع (ترجمة الدكتور عبد المجيد عباس)

تطور الشكل العائلي

لا يزال يعيش في انحاء الارض هنا وهناك اقوام من البشر في تطور البداوة فهم لذلك يشبهون اولئك الاسلاف الاولين . ظلت تلك الاقوام امدا طويلا بمعزل عن التيارات الحضارية الكبرى التي توالى ظهورها بين سكان القارات القديمة او ما يقرب منها . وليس معنى ذلك انها سلمت من التطور وافلتت من قانونه الا انها مع ذلك تعتبر في نظر بعض علماء الاجتماع بمثابة المتاحف عند علماء الاثار (٧) .

متى تشكلت العائلة ؟ كيف كان الشكل الاصلي للعائلة؟ كيف تشكلت العائلة ؟ كلها اسئلة استعصت على علم الاجتماع الاجابة عنها حتى ان معرفتنا عن العائلة القديمة في العصور القديمة ليست بمرضية يشوبها لبس وغموض.

اوما البعض الى القبائل البدائية وراوا في دراستها تكوين فكرة عن العائلة وهي في اوائل تكوينها . غير ان اعتبار العائلة في القبائل البدائية الحالية الشكل الاول للعائلة يستلزم الاقتناع بما يلي :

ـ يتطلب الاقتناع بان العائلة البدائية منذ ما قبل التاريخ حتى الوقت الحاضر لم يطرا عليها تطور وتغيير : وهذا ما لا برهان عليه ولا دليل على صحته . انما العكس اصح . فما دام كل شيء في الحياة الاجتماعية في تغير وتطور فالعائلة البدائية ايضا لا تظل ابدا ثابتة دون تغير .

ـ كذلك يقتضي القطع بان العائلة البدائية من حيث الشكل هو الجد المشترك لكل العوائل الموجودة في العالم . وهذا ايضا ما لا يمكن قبوله اذ الاختلافات الجغرافية والتاريخية قد ولدت فروقا مهمة بين العوائل الانسانية . ولا يعقل بان هذه العوائل قد كانت يوما ما في الماضي ذات شكل واحد . وعلى ذلك فمن الخطأ اعتبار اشكال العائلة في الادوار المتسلسلة كحلقات قانون التكامل الاجتماعي المتسلسل ولذا من الضروري بحث اشكال العائلة تبعا للزمان والمكان وتتبع ارتقائها على انفراد .

يقول الاستاذ دوركايم : « العائلة هي فئة مؤلفة من افراد بينهم رابطة الدم سواء اكانت حقيقية ام فرضية ، وبينهم حقوق ووظائف متقابلة يعرف بها المجتمع » . كذلك ان العائلة بالنسبة لمذهب دوركايم مرت حتى الوقت الحاضر من ستة اشكال ـ الشكل الطوطمي ـ العائلة من جانب الام ـ العائلة من جانب الاب ـ العائلة ذات السلطة الابوية ـ عائلة الجرمان والترك القديمة ـ العائلة الحديثة .

العائلة الطوطمية : F. Totimique

كانت العشيرة Clan والعصبية Patrie اقدم الفئات الاجتماعية(٨) وان نطاق الاسرة كان واسعا في العشيرة كل السعة بحيث كانت العشيرة مجتمعا دينيا واتحادا سياسيا وعائلة في نفس الوقت(٩) . ومن تجمع العشائر كانت تتكون قبيلة Tribu الا ان العشائر كانت تحافظ على كيانها ولكل عشيرة طوطم خاص بها . والطوطم عبارة عن نوع من الحيوان او النبات تتخذه العشيرة رمزا لها ولقبا لجميع افرادها وتعتقد انها تؤلف معه وحدة اجتماعية وتنزله وتنزل الامور التي ترمز اليه منزلة التقديس . وتعتبر افراد العائلة وجائب اخرى عليهم ان يؤدوها بكل جد اجتماعية لاقدم المجتمعات) ومن دم مقدس معين ويقبلون رابطة الدم فيما بينهم بواسطة النبات او الحيوان المقدسين. وبما ان افراد العائلة كلهم يحملون على اعتقادهم الدم المقدس فحرم عليهم الزواج من داخل افراد العشيرة واخذوا بقاعدة الزواج الخارجي(١٠) . وبالاضافة الى ذلك على افراد العائلة وجائب اخرى عليهم ان يؤدوها بكل جد واخلاص مثل الحضور في اداء الشعائر الدينية وغيره .

ينتسب الطفل في هذه الفئة الى الام ويرثها ويتسمى باسمها ويعتبر نفسه سليل طوطم امه لا طوطم ابيه ولاتربطه بعشيرة والده رابطة وتعيش الام في عشيرتها والاب في عشيرته الا انه يقصدها بين الفينة والفينة . فالروابط بين افراد العشيرة هي : ـ ادعاء الدم ـ التعاون ـ اشاعية ثروة الاسرة لجميع افرادها او انها ملك مشترك لشخصها المعنوي (١١) .

العائلة من جانب الام : F. Uterine. F. Cognatique Maternelle

وهي نوع آخر من العائلة كانت توجد بين سكان امريكا الشمالية وكندا الاصليين وفي جزر ميكروتيريا وميلاتيزيا. وبين زنوج افريقيا الشرقية . تولدت في هذه المرحلة وحدة العشيرة واختار رؤساؤها زعيمها وخرج المجتمع من طور البداوة الى التزام ارض معينة ، فظهرت القرية وتولد شكل جديد للعائلة ذلك هو عائلة الام . وكلما توافر الغذاء وسهلت اسبابه اصبح المجتمع قوة منظمة واستتب النظام والطمانينة وعليه فقد تكون من اجتماع عين من الافراد في وسط بيت معين ، ومن اسباب اقتصادية ومعنوية ، شكل جديد من القرابة يتالف افرادها من الام والاولاد والخؤولة واولادهم أي اقرباء المراة . وهذه العائلة اصغر نسبيا من العشيرة غير انها تستمد جذورها منها والزوج فيها لا يرتاد هذه الدار الا في بعض الاحيان . اما مهمة الابوة فتقع على الخال ويرثه اولاد اخته .

(٧) عبد العزيز عزت : تطور المجتمعات المتاخرة .

(8) Nec. Sadah : Op. citi 99

(٩) علي عبد الواحد وافي : الاسرة والمجتمع

(10) H.Z. Ulken : Sosyoloji 269 نفس الفصل

(11) Nec. Sadak : نفس المرجع :

لهذا النظام العائلي خصائص اخرى منها :

- تتمتع النساء بنفس حقوق الرجال .
- يستطيع اولد من زواج عمته .
- تكون الارض ملكا مشتركا للعشيرة موزعة بين العوائل بحيث لا تظهر الملكية الفردية في هذه المرحلة .

العائلة من جانب الاب

ويسميها علم الاجتماع الفرنسي بـ La Famille Agnatique Indivise ـ تشكل هذه العائلة من اقرباء الاب وقد ظهرت لدى اقوام عديدة في العصور القديمة من اقوام آسيا وافريقيا ، كما وجدت بين سلاف الجنوب والبوسنة والهرسك واطلق عليها في بلغاريا ودوبروجه ودالماسيا اسم زادروكا Zadruga ، وعرفت عند الروس القدماء بـ Mir او Volosk . ظهر هذا الشكل من النظام العائلي كفئات واسعة في المناطق الزراعية وهي نصف عائلية ونصف سياسية بحيث يعتبر فيها منتسبوها انفسهم اخوانا يحملون اسم لبطل اسطوري يحسبونه جد مجتمعهم . وتكلف القرابة فيها افراد الفئة عددا من المسؤوليات ابرزها ادعاء رابطة الدم والزواج من الخارج .

تتألف عوائل زادروكا من ٢٠ ــ ٦٠ فردا كلهم اقرباء من جانب الرجل لا يرث عندهم الطفل امه ، ويمنع الزواج من الاقرباء الى ثمانية ظهور من جانب الاب والى اربعة بطون من جانب الام .

تكون زادروكا وحدة عائلية لا تتجزأ وافرادها متساوون يستفيد كل منهم من المال المشترك بينهم لان المال مشاع ولا يتوزع عندهم الميراث . وفي هذا المجتمع تحترم المرأة احتراما عظيما والنساء متساويات مع الرجال في الحقوق والوظائف .

العائلة ذات السلطة الابوية Patriarcale

عندما لزمت الفئة الاجتماعية الارض بشكل تأسيس القرى بدأ الطفل المرتبط بجماعة والدته يعيش شيئا فشيئا في قرية والده . وكلما زادت ظاهرة الاستيطان والاستقرار والتزام الارض ازداد الطفل ارتباطا بأبيه ووقع تحت تأثير تربيته . أضف الى ذلك ظاهرة اخرى اخذت تعمل عملها في تغيير الشكل العائلي وفي يجاد لثقة بين الزوج والزوجة وهي ظاهرة توزيع العمل . فعمل الرجل في لصيد ولحرب ولم تمارسهما لمرأة فحط ذلك من مركزها الاجتماعي وصارت دون الرجل في المجتمع الجديد . وتبدلت العلاقات الاخلاقية والحقوقية في هذه الفئات العائلية . فنشأت عوائل كبيرة في داخل المدن كما في مدن العصور القديمة عند اليونان والرومان والهند والعبرانيين والايرانيين وكانت من نوع العائلة ذات السلطة الابوية لتي سميت عند ليونان بـ Genos وعند الرومان Gens ولعب نفس النظام العائلي دوره الخطير في العصور القديمة وغدا من العناصر الاساسية في الكيان الاجتماعي لاقوام الشرق الادنى في العصور الوسطى . هناك عاملان اساسيان اثرا في نشوء العائلة ذات السلطة الابوية في العصور القديمة وعملا في تطورها وتشكيلها وهما تقدم المعتقدات الدينية وتبدل البيئة الاجتماعية . فصارت للاب سلطة غير محدودة على العائلة يتصرف باموالها كما يشاء وان شاء يستطيع من بيع زوجته واولاده بيع الارقاء او يقتلهم ان اراد ، ما دام يحمل طابعا دينيا في العائلة . ويلاحظ في هذه المجتمعات نظام تعدد الزوجات ، واحتساب النسب للاب ، ولا تعطى الانثى مثل حظ الذكر ، فتعتبر المراة بضاعة تتحف وتباع وتشترى . لذا يتمكن رئيس العائلة من الزواج بالقدر الذي يشاء من النساء . والعدل في البيت حق يمارسه الاب بحيث وضعت حقوق روما المراة والاطفال تحت رحمة عميد العائلة أمد اعمارهم ، وخلاصة القول ان للاب سلطته الدينية والاقتصادية والحقوقية والراي الحاسم في كل الامور .

العائلة الابوية

وهي نوع من النظام العائلي كان سائدا عند قدماء الاتراك والجرمان . انبثق من تطور نظام العائلة ذات السلطة

الابوية وتسمى Famille Paternelle . تستند هذه العائلة ايضا الى سلطة الاب الا ان هذه السلطة ليست كما كانت عليه في العائلة ذات السلطة الابوية والتي يكون فيها الاب الحاكم المطلق يفعل ما يشاء بدون حساب . بل ان سلطة الاب في هذا النظام تتقلص وتزداد سلطة الام واحترامها بشكل يندر في هذه المجتمعات نظام تعدد الزوجات وفضلا عن ذلك ان للنساء دورا مهما في ميادين السحر والامور الدينية (كما عند الياقوت) وللاطفال واقارب الزوجة حقوقا داخل النطاق العائلي .

اما العوامل التي ولدت هذا النمط العائلي فيمكن ايجازها بما يلي :

ـ ظهور الاديان الكبيرة كالمسيحية والاسلام فان هذه الاديان اعطت للمراة قيمتها مما اثر في ضمور سلطة الاب .

ـ التقدم الاقتصادي : واثر في شكل العائلة ذات السلطة الابوية والتي كانت فئة واسعة تضم عددا من الجواري والعبيد بالاضافة الى افرادها وتكون مجتمعا خاصا بنفسه . فاقتضى التقدم الاقتصادي الى التغييرات الحقوقية والى ظهور نظم الاصناف والنقابات وتوزيع العمل خارج الاقتصاد العائلي مما اثر في تضيق النطاق العائلي وفي تداعي نظام السلطة الابوية .

ـ تعاظم الدول وتمركز سيادتها : واديا الى تقليل سلطة الاب في العائلة والى احلال عضوية الدولة محل ادعاء الدم والانتقام الشخصي فزالت المسؤولية المشتركة التي كانت اساس ذلك النوع من النظام العائلي وهكذا تطورت العائلة في صورها كلما تطور المجتمع في اوضاعه.

(Tacite,les Mœurs des Germains)

عائلة الام والاب (الاسرة الزوجية)

وتسمى (بالعائلة الحديثة) او ما يسميها علم الاجتماع الفرنسي بعائلة الام والاب Famille Conjugale وهي متالفة من الاب والام واولادهما الاعزاب وتولدت من جراء ضيق نطاق العائلة وعلمانيتها وانتقال السلطة للدولة .

يخبرنا علم الاجتماع بان العائلة الحديثة لا زالت فيها رواسب وبقايا النظم العائلية القديمة الا ان الشكل الجديد متميز بميزات منها ان افرادها بينهم حقوق ووظائف متقابلة يضطر فيها الاب على تربية اولاده الى حد معين من العمر تختلف في تحديده قوانين الدول المختلفة وهم بدورهم يضطرون على اطاعة الاب حتى وقت الزواج عندئذ تنقطع العلاقة بينهم وبين الاب ويتملك الابن شخصيته واستقلاله واذا بقي في بيت والده فليست لهذه المعية قيمة حقوقية كل ما هنالك توجد مسؤوليات متوارثة من العهود القديمة مثل التعاون عند الفقر والمرض والاستحقاق من الميراث وما اليه من الامور التي يلتزم بها افراد العائلة .

وقد لعبت التطورات الحديثة دورا عظيما في تقدم النظام العائلي الحديث ، فاثرت في اضعاف السلطة الابوية واصبح للمراة حق اختيار الزوج اكثر من ذي قبل لا سيما عندما حلت الماكنة محل الايدي العاملة وتحررت العائلة اكثر فاكثر من وظائفها الاقتصادية فانصرفت النساء الى العمل في حوانيت العمل والمعامل والدوائر وتحطم الاعتقاد القديم بان الحقل للرجل والموقد للمراة . اصاب شكل النظام العائلي في مضمار تطوره سلسلة من التغييرات ابرزها :

ـ تقلص حدود الفئة والقرابة العائليتين .

ـ تقلص السلطة العائلية وانتقالها بالتدريج الى المجتمع السياسي والدولة .

ـ فقدانها وظائفها الدينية .

وهكذا يمكن ان يقال ان هناك تناسبا عكسيا بين تطور المجتمعات وبين تطور التنظيم العائلي اذ كلما نمت المجتمعات السياسية وازدادت قوتها تقلص التنظيم العائلي وضاق نطاقه وترك جانبا كبيرا لا يستهان به من صلاحياته الى المجتمع السياسي . فالعائلة التي كانت تسع سعة المجتمع في المجتمعات البدائية غدت جزءا صغيرا جدا من المجتمع الحديث متالفة من الاب والام واولادهما وكانت بذلك اصغر فئة موجودة في المجتمع .

تختلف العائلة الحديثة قليلا او كثيرا في المجتمعات الحديثة من حيث حقوقها المحدودة بالقوانين المدنية وهي

ليست على شكل واحد من هذه الوجهة حتى في بلاد الغرب حيث نجدها على ثلاثة انواع :

ـ العائلة الانفرادية Particulariste وتتمثل فيهولندة وانكلترا وامريكا وهي اكثر العوائل الغربية رقيا وفيها يترك الابن النطاق العائلي مبكرا ويعتمد على جهوده الخاصة.

ـ العائلة القلقة : وهي التي فقدت بنيتها ذات السلطة الابوية وتكون شبه انفرادية وتتمثل في فرنسا والمانيا واوروبا الوسطى وهي تجمع بين خصائص العائلة الانفرادية والجمعية وتفسح كما في الشكل الاول مجالا للانفصال الفردي .

ـ العائلة الجمعية المنهارة Communautaire وهي عائلة شرقية قديمة تفككت من جراء التقدم الصناعي وتأثير النظام الرأسمالي . والذين يبحثون عن ازمة الشكل العائلي ينظرون الى هذا النوع فقط ويتمثل في اوروبا الجنوبية والبلقان (١٢) .

الزواج واشكاله

تختلف المجتمعات الى حد بعيد من حيث المؤسسات الاجتماعية التي تظهر فيها ومنها العائلة في اشكالها وما فيها من تقاليد . فيتحتم على الشخص في بعض المجتمعات ان يتزوج من خارج الفئة التي ينتمي اليها Exogamy وبعضا تستلزم التقاليدالزواج من داخل جماعته Endogamy اما الظاهرة الاولى فليست معروفة الاصول تماما وهي على اعتقاد البعض عبارة عن حالة موسعة للتقاليد التي تحرم على الشخص زواج الاخت والام وتدعو الانسان الى الميل نحو خارج الجماعة والزواج بالاجانب : اما الظاهرة الثانية او الزواج من الداخل فقد تطرف فيه البعض فاخذ الاخوان يحللون زواج الاخوات كما حدث في حضارات مصر القديمة وبيرو ومايا . فقد كانت هذه الظاهرة تحدث غالبا بين افراد الطبقة الحاكمة حينما تعتقد بنفسها القدسية او حين تريد ان تحافظ على نقاوة الدم . هذا مع العلم ان الظاهرتين كثيرا ما توجدان جنبا الى جنب في مجتمع واحد . كذلك يمكن تدقيق الزواج بالنسبة لعدد الزوجة والزوج .

ـ زواج الواحدة Monogamy تعدد الزوجات Polygamy ان شكل الزواج الشائع في انحاء الارض هو نظام زواج الواحدة اي الاقتصار على زوجة واحدةفقط . فهو بذلك يربط بين ذكر واحد وانثى واحدة وهو نظام قديم قدم الانظمة الاخرى ويشاهد حتى لدى الشعوب البدائية بين الصيادين كما هو الحال بين اقزام افريقيا . اما نظام تعدد الزوجات فانه على الاكثر ناتج عن زيادة عدد النساء بالنسبة لعدد الذكور وعن وجود فوارق اقتصادية كبيرة في المجتمع . ويمكن ان يجري نفس التقسيم من حيث عدد الازواج ـ زواج الواحدة Monoandry ـ تعدد الازواج Polyandry ويوجد بين Todas . وقد يحصل زواج عدد من الاخوان بزوجة واحدة ، او زواج امرأة واحدة بعدة اشخاص مختلفين تقضي مع كل واحد منهم وقتا معينا . ففي الحالة الاولى اذا ولد الطفل يتخذ الاخوان كلهم لقب الاب وفي الحالة الثانية يعين شخص واحد من هؤلاء الازواج الاب الشرعي للطفل في حفلة خاصة تقام لهذه الغاية . تعلل هذه الظاهرة بقلة عدد النساء وبعضا بسبب الفقر المدقع بين هؤلاء الناس تقوم المرأة فيهم بدور اقتصادي بسيط او تافه يصعب تحملها او اعاشتها . ونصادف هذا الشكل بين جماعة Todas في الهند الجنوبية وفي التبت وزنجبار وفي حضارات امريكا القديمة (١٣) .

المراة ووظائف العائلة الحديثة

ليس بين التيارات الاجتماعية الحديثة ما هو اهم بالنسبة للعائلة من زيادةحرية المراة واستقلالها الاقتصادي . فقد كانت المراة كمية مهملة في تدوير شؤون المجتمع وكان

(١٢) راجع فصل العائلة في :

Nec. Sadak : Sosyoloji 99-112
H.Z. Ulken: Sosyoloji 269-278

راجع فصل التنظيم العائلي في :

(13) Groves and Moore : An introduction to Soceology p. 467-470.

ينظر اليها كمتاع يحتفظ به او يسقط حسب الاهواء والحاجات ولم يكن مركزها في المجتمع طوال العصور مثلما هو عليه اليوم فظلت دون الرجل مدة طويلة من الزمن واعتبرت كائنا لا يصلح سوى للخدمة في البيت والتوليد وتربية الاولاد . اذن ما هو مبعث الفارق الاجتماعي بين الرجل والمراة ؟

جلب الفرق بين الرجل والمراة نظر العلماء منذ القديم وكان التوضيح لا يعدو عن نطاق التفسير الفسلجي . فقيل ان المراة اضعف من الرجل واقل منه مقاومة وانها على الاقل لها خصائص فسلجية تختلف بها عن الرجل، فهي دون الرجل في العقل والذكاء والقوة ويؤيد ذلك بان لم يظهر من النساء طوال العصور عباقرة واهل العلم وفنانات. الا ان اغلب هذه الادعاءات ان هي الا من قبيل تفسير الحركات الفكرية والروحية بالناحية البيولوجية واغلبها لا تتفق والحقيقة الواقعة لا تدعمها الدلائل التاريخية والاثنولوجية(١٤). ادعى احد اساتذة الطب ان المراة لا يمكن ان تكون طبيبة . وحاول ان يثبت بان دماغ المراة اخف من دماغ الرجل بثلاث مرات . ولكن لما توفي هذا الاستاذ وفتحت جمجمته ظهر ان دماغه اخف من دماغ امراة متوسطة . فيرى علم الاجتماع ضرورة تفسير هذه الظواهر تفسيرا اجتماعيا فالاوضاع السائدة في المجتمع تؤثر تأثيرا بليغا في حياة الانسان الفكرية والروحية .

اخذ علم الاجتماع بالتربية ولا يقصد بالتربية ما يتلقاه الطالب في الحياة الدراسية انما يقصد بها الوجهة الواسعة الشاملة من المهد الى اللحد والتأثيرات التي يتعرض لها الفرد في محيطه الاجتماعي . فالمراة التي عاشت بين الجدران والاقفاص حبيسة طوال العصور لم تتقدم مثلما تقدم الرجل . ففي هذه الحالة هل نسأل المراة عن هذه الحالة ام النظم الاجتماعية ؟ وانا وان صادفنا في المجتمعات البدائية بعض الفروق بين الجنسين كعدم مشاركة النساء في بعض المراسيم الدينية وكأن تحظر عليهن الاستفادة من بعض المواد الغذائية . الا اننا نلاحظ في عدد من المجتمعات البدائية مقابل هذا الوضع تفوق النساء في مقدرتهن وتأسيسهن الجيوش في بلاد الامزون واثارتهن الحروب وقيامهن بادوار سياسية خطيرة . يقول كوستاف لوبون ان معدل جماجم النساء في بلاد مصر القديمة كان اكبر من معدل جماجم الرجال بينما وجد عكس الحالة في باريس حيث تبين ان معدل جماجم الرجال اكبر من معدل جماجم النساء بكثير . تدلنا هذه المقارنات ان قضية الفرق بين المراة والرجل في المجتمع ليست بفسلجية انما هي قبل كل شيء قضية اجتماعية (١٥) . وفي الوقت الذي كانت النظم القديمة ترى المراة حاشية المجتمع اخذت الثورة الصناعية والديموقراطية والنظم الحديثة تخرجها من بيتها فظهرت فكرة تحرر المراة ومساواتها بالرجل فظهرت الحركة النسوية Feminisme

كانت خطة حركة تحرير المراة في القرن التاسععشر تهدف الى مقارعة سيادة الرجل في المجتمع وبصورةاوسع واخص في داخل العائلة (١٦) فقطعت المراة شوطا كبيرا في سبيل اثبات وجودها الاجتماعي وعمت الدعوة الى اشراكها في الانتخابات ودخولها في المجالس النيابية واخيرا اصبحت هذه الافكار حقائق واقعة في كثير من البلاد المتقدمة . فمساواة المراة بالرجل لم تكن نتيجة جهود فردية انما كانت نتيجة اسفر عنها تطور اجتماعي عظيم وتضاف الى ذلك تأثيرات الحرب العالمية الاولى التي راجت من ورائها فكرة اعطاء الحقوق للمراة كما للرجل ، ومع ان القوانين والاخلاق والتربية الحديثة جميعا تؤكد فكرة المساواة الا انها لم تحصل حتى الان بشكلها التام وهي رهينة الايام المستقبلة .

اسلوب الزواج :

يقول البعض ان في العائلة اضطرابا ، وانها قد ادركها الوهن والانحطاط ، واختل جهازها واصطلحت عليها العلل ، وذلك ان الزواج اصبح حرا بين الذكر والانثى . تتزوج البنت من تشاء والولد من يشاء . الا ان هذا القول لا يدل على التحقق من الدراسات الاجتماعية الحديثة لان هذا النوع من الزواج بين شخصين يدل على الوفاق والانسجام بينهما فتكون الروابط العائلية اقوى بكثير مما كان سابقا حين كانت افراد العائلة تحدد عن البنت او الولد الطرف الاخر من دون مراعاة الرغبة والمقومات الشخصية في الجانبين . ويلاحظ كلما توسع المحيط الاجتماعي صغر حجم العائلة وضاق نطاقها وتقوى اسلوب الزواج فتكون الروابط في داخل العائلة شخصية تتخذ ماهية معنوية واخلاقية والاساس الذي يبنى عليه ارتباط عائلته اليوم هو الحب .

يستند توثق الارتباط العائلي وقوة انسجامه الى الاساس الذي تم بموجبه الزواج فان كان ذلك بين الزوج والزوجة على اساس مبني من التفاهم والمودة لبقيت العائلة مؤسسة فيها الوئام والمحبة المتبادلة والاخلاص في حل المشاكل التي تعترض العائلة في حياتها . وقد اثبتت الدراسات النفسية والاجتماعية التي اجريت في الاطارات

---

(14) Prof. Ulken : نفس المرجع 277

(15) Sadak : 121

(16) Ency. of Social Scien. (Family مادة)

العائلية بان كثيراً من حوادث الانشقاق والنفور والخيانات الزوجية وما اليها من التصدعات في الكيان العائلي تحصل من جراء تدخلات الاباء والامهات والاقارب والاصدقاء الطفيلية ومن تاثير بقايا الرقاعة البدائية لا سيما في المجتمعات المتاخرة الحالية . فتنفق الام او الاخت في سبيل المنع كل جهد وبتوسل له بكل الوسائل مشروعة وغير مشروعة تقتل وتخرب . فالابن متعلم والاب جاهل والبنت متعلمة والام جاهلة فسقف البيت يخيم على اخلاط من التفكير والارادات متضاربة مصطدمة والاسرة في جحيم من الخلاف والشقاق والتفكك الاجتماعي . فتحتجز العائلة الفلانية فتاتها دون فلان على الرغم مما لذلك الشخص من سعة العيش وعلى الرغم مما بين الفتاة والفتى من مودة ورغبة في الزواج . فتكون الحالة عندئذ با نالبنت تباع كالانعام او البضاعة تتحف لتطمين انانيات مترسبة في تلك النفوس ، تطغى على المنطق وعبر الحياة وقواعد كل الديانات فكم وكم من الكوارث الاجتماعية تذهب أمثالاً بين البشر فيعتبر اناس ويهتدون ويعتقد آخرون ولا يعملون بل يعيدون حوادث الكوارث على الوان أمر واشقى . وكم من المرات سمعنا بنات زففن وهن يذرفن الدموع ويندبن حظهن ويطلبن الردى ولا يجدنهــا لماذا ؟ لانهن اقترن باشخاص مكروهين ولم يقترن بالمحبوبين . وكم من مرة سمعنا عروسا شدت من شعرها ومن يدها بحبل متين ليفترسها الزوج البهيم ، ولم تلبث العروس طويلا الا وتغادر دارها دون ان تأسف عليها وتسلك دروبا يرسمها لها القدر .

غير ان انتشار الثقافة والمقومات الاخلاقية التي تستتبعها اخذ يقلل من هذه المآسي ومن شدتها فاخذت المثقفات المهذبات يخترن ازواجهن ويبدين آراءهن على هدى العقل الصائب والعاطفة النقية الطاهرة دون ان يكترثن بصلافة وتحكم العقليات البدائية ودون ان يعرن اهتماما يذكر للمنهجية التافهة والغيرة الشريرة . فطوبى لبنت مثقفة فهمت مقاييس الشرف ومعايير الاخلاق الصحيحة فهماً جيدا فتنتفض من التقاليد البالية الشريرة فتضرب انانيات الجهلة والمتعسفين عرض الحائط لتكون مثلا يحتذى به ، ونبراسا للاخلاق الفاضلة والعقلية العلمية يحتذى به، وطوبى لسياسة دولة تتدخل اكثر ما يمكن من التدخل في الشؤون الاجتماعية وتعرض جرائم خفية ترتكب من غير علم القضاء على القضاء وعلى الملأ وتدرس بواعثها وتستأصل شأفتها .

وظائف العائلة

« ان وظائف العائلة في أقدم عهودها كانت واسعة كل السعة شاملة لمعظم شؤون الحياة الاجتماعية . ولكن المجتمع العام اخذ ينتقص هذه الوظائف من اطرافها شيئا فشيئا ويستلبها من العائلة واحدة بعد اخرى » الا ان العائلة حافظت على نفسها ولم تفقد وجودها في مختلف ادوار التاريخ الشيء الذي يدل على مرونة هذه المؤسسة الاجتماعية . فهي حتى الوقت الحاضر تلعب دورا مهما في حياة الانسان مع وجود مؤسسات اخرى اجتماعية منافسة لها .

ــ الوظائف الاقتصادية : كانت العائلة في الماضي تنتج بمقدار اوسع بكثير مما هي عليها الان من الغذاء والكساء ، حيث كان انتاجها يجري في داخل الحيز العائلي . فلم تعد العائلة منذ الثورة الصناعية وحدة اقتصادية لان توزيع العمل استلزم توزيع الافراد حسب قابلياتهم الفردية لا حسب المناسبات العائلية . فيتوزع افراد العائلة صباح كل يوم ، كل حسب عمله بما فيهم المراة « فيصبح الفرد لا ينتج لنفسه ولا لاسرته كما كان يفعل قبلا وانما ينتج للمجتمع . ولا يكاد يستهلك شيئا من انتاجه الخاص ولا من انتاج اسرته وانما يستهلك انتاج غيره وأصبح المجتمع العام هو المشرف على جميع هذه الشؤون » (١٧) .

ــ الوظائف السياسية : كانت العائلة دولة مصغرة وكانت لرئيسها قدرة الحاكم المطلق للدولة ، يأمر وينهى ويعمل القانون ، ويحكم كما يشاء ، له حق الموت والحياة

(١٧) علي عبد الواحد : الاسرة والمجتمع ورسالة الاستاذ اوكبورك

على اتباعه . والعقاب الذي يمكن ان تفرضه المحكمة على امراة رومانية يستطيع زوجها ان يفرضه عليها . ويحكم الزوج خارج الاطار العائلي ايضا فهو يقوم بتمثيل عائلته في امور العلاقات مع العوائل الاخرى . الا ان المنافسة ظهرت بين مؤسستين سياسيتين : العائلة والدولة . ولما كانت الدولة منصرفة الى الشؤون العسكرية فلم تتدخل في شؤون العائلة الداخلية وتركت للابوين كل الصلاحيات كما كانت في اسبارطة . ونصادف ــ كما كانت في الصين ــ حكومة مركزية ضعيفة تكتفي بالاهتمام بالناحية الدولية والمالية وتترك الامور الاخرى وشانها . اما في الدولة القوية فيشمل الاهتمام المراة ايضا وتكون فيها حجيرة التشكيلة السياسية الفرد لا العائلة . وتتغلغل سلطة الدولة فيما بين الزوج والزوجة وتسود العائلة النزعة الديموقراطية ويطلب من افراد البيت ان يعبروا تعبيرا ذاتيا اكثر. وتحاول الدولة ما وسع لها من محاولة احلال العدل بين الافراد ولا تبقى العائلة فيها مقفلة الابواب ولا يكون كل فرد « سيدا في عائلته » . ولكن لا يحصل ما ينافي العدل في كل مكان ، تنصت الدولة الى شكاية الزوجة ضد زوجها ولا تبقى للزوج حقوق استعمال قواعد العدل على زوجته . وبهذا تقوم الدولة كمجتمع سياسي كبير بحماية الافراد امام الافراد فتزول اسباب كيان العائلة كمجتمع سياسي صغير (١٨) .

ــ الوظائف التربوية : بقي للعائلة من وظائفها القديمة وظيفة القيام بشؤون التربية في الادوار الاولى من الطفولة. ولها وظيفة انجاب الاطفال وتخليد النسل وتؤدي العائلة الحديثة هذه المهمة احسن من العائلة القديمة لازدياد العناية والوسائل الفنية في تربية الطفل ويدل على ذلك الهبوط البارز في معدل وفيات الاطفال في الوقت الحاضر .

كانت العائلة المركز الاساسي للتسلية الا انها فقدت جانبا عظيما منها في الوقت الحاضر فانتقلت التسلية الى وسائلها خارج الدار كالسينما والاوبرات والحدائق العامة الخ.

ــ الوظائف العاطفية : عندما تتشكل العائلة ينتظر ان توجد جوا عاطفيا يساعد على الاستجابة الاجتماعية وان تكون مركز حياة المحبة والعطف كما بين الزوج والزوجة وبين الوالدين والاطفال وبين الاطفال والاقرباء . واذا كان الزواج اعتباطيا ولم يكن مؤسسا على المحبة والرغبة فتحصل حوادث الانفصال والطلاق ويجد المتطلقان اوضاعا عاطفية اخرى تغنيهم عن الحياة الزوجية من هذا النوع .

تؤدي العائلة الحديثة وظيفة اشباع الغريزة الجنسية على وجه احسن واكمل وذلك لما ارتفع مركز المراة وبدات العائلة تتكون بناء على الرغبة المتقابلة من الجانبين عكس ما كانت عليه العائلة القديمة التي كانت هذه الناحية مفقودة فيها (١٩) . والعائلة هي المؤسسة الاجتماعية الوحيدة التي تبيح اشباع الغريزة الجنسية من الناحية القانونية (٢٠) .

ــ الوظائف الاخرى : لا تستطيع المؤسسات الاخرى كالفنادق والملاهي والنوادي في حضارتنا الحديثة مضاهاة العائلة في تهيئة البيت والراحة للانسان. لذلك كانت الراحة البيتية واقعا مشوقا مهما جدا في تكوين العائلة .

كذلك تؤدي العائلة خدمات ثقافية كنقلها الى الفرد لغة بلاده وكثيرا من عاداتها وتقاليدها . وكانت العائلة في عهودها القديمة مؤسسة دينية مصغرة الا انها فقدت وظائفها الدينية الى حد بعيد ، فقامت الديانات العالمية العامة التي اختفت امامها العقائد المحلية والعائلية . فترك تقديس الاجداد ولم يعد رئيس العائلة يمارس السلطة الدينية على افراد العائلة ، وفي بعض الاحيان لا يتطلب من الزوج والزوجة ان يكونا على اعتقاد واحد والزواج بين اثنين على عقيدتين مختلفتين ليس بنادر وللمراة في داخل العائلة كل الحرية في ممارسة عقيدتها بل انها غالبا تكتسب حقا في التاثير على عقائد الاطفال اكثر مما لزوجها . كانت العائلة تؤدي وظيفة الصيانة وهي ان تحافظ على اعضائها وكان الرجل يحافظ على المراة والاطفال . الا ان الوضع قد تغير الان فاخذت الدولة تتحمل هذه المسؤولية فبدات وظيفة الصيانة العائلية بالانحطاط من جراء ما للدولة من الحراس ورجال الشرطة والاطفائية والجنود وغيرهم . ولم تكن العوائل حقا تستطيع من محافظة اطفالها كما يرام تدل على ذلك جرائم الاطفال مما اضطر الدولة على انشاء دور الاصلاحية . فبلغ اهتمام الدولة بهذه الناحية الى حد انها اخذت تحافظ على العائلة امام العائلة نفسها فقد وضعت قوانين خاصة نظمت بها تشغيل الاطفال ، وحددت ذلك على الوالدين كما حددته على اصحاب الاعمال .

العراق ــ كركوك **حسين علي الداقوقي**

راجع رسالة الاستاذ اوكبورك Changing Family وماكيته
Paul Lapic تحت عنوان
La Femme dans la Famille Paris Doin 1908

ومن احسن ما الف في التنظيم العائلي :

Zimmerman: The Family
Helen Bosanquet: The Family, London, 1906
Barnes: Social institutions.
Burges: The Family

(18) M. Lapic (Paul) La Femme dans la Famille p.46 à 54.

(19) William F. Oghurn: The Ghanging Family (Reprinted from the Publications of the Amerenen Sociological Socety)

(٢٠) صلاح العبد : مبادىء علم الاجتماع . ص١٠٥

فراشتي... تكتب لي

٥

عن حبنا .. تكتب لي
فراشتي تكتب لي
في نغم من خجل
معطر .. معشوشب الاعطاف
حلو الامل
فراشتي تكتب لي
عن حبنا كيف نما
على ربى اذار كان برعما
أغفوة كان الصبا أم حلما
مخضوضرا مرفرفا .. منمنما
ردده الندى بثغر الورد :
كنا نغما ،
فراشتي تكتب لي
عن حبنا الحالم عبر الفرقد
ينبوع نور دافق لم يجمد
أم موجة من دفقات القمر ؟
تسرح عبر الشجر ،
فراشتي تكتب لي
عن حبنا النامي كدفق الجدول
في صلوات السحر ،
عن ظلة الصفصاف حين تخفق
اذ يحتوي حلو رؤانا الشفق ،
عن الضفاف السمر كيف تورق ،
... والسلسل المصفق
مر شراع أم تهادى زورق ؟
فراشتي .. تكتب لي :
عن الدروب الخضر .. كيف نعبر
يحضننا حلم .. ويرنو اخر
تلك خطانا رجع حلم مسكر
يسرح فيه الزهر ،
فراشتي تكتب لي :
يا طيب حلم طالما رفّ لنا
مطرز الظلال دفّاقاً فتياً لدنا
اذاك انت تنثر النجوم
أم تلك أنا ؟
أم حبنا ؟
فراشتي تكتب لي
عن حبنا المدلل ،
عن حبنا الطفل يغذيه
رحيق القبل ،
يسرح في قلب .. ويلهو
في ظلال المقل
في نغم من خجل
فراشتي .. تكتب لي

العراق ـ الخالص **عصام عبد علي**

قصة من جامعة القاهرة

في العام الاخير

بقلم فاضل السباعي

كل الفتيات في مرح من امرهن الاها !.. انهن ، في عامهن هذا ، متخففات من التزمت .. في مشيتهن خفةوترشق، وفي حديثهن دعابة ومزاح ..انهن في العام الجامعي الاخير ، ولعل زميلا لهن تأسره ملاحة في هذه ، او يستهويه ظرف في تلك وجمال اخاذ.. فيمد يده اليها خاطبا !

وان « سميحة » لمتخففة كذلك ـ في عامها الاخير هذا ـ من خفر شديد كان يشد حركاتها ، ويثقل مشيتها .. على انها لم تستطع ان تتغلب على « انطوائية » متغلغلة الى صميمها ، تخالط فيها الدم والروح .

ما عادت زميلاتها يرتضين ، في عامهن الاخير هذا ، الجلوس في المقاعد الامامية ـ في المدرج المخصصة لهن .. فقد ثرن على هذا « التقليد » البغيض .. انه تقليد يضيع عليهن سوانح الفرص ، لانه يجعلهن في واد ، وزملاءهن «الطلبة» في واد آخر .. لذا فقد خلت تلك المقاعد الامامية من طالبات قد شددن اليها طوال سنوات ثلاث ماضيات ، عدا صف امامي واحد .. قد آثرت البقاء فيه قلة من الطالبات ؛ منهن التي ما زال يتوزعها تهيب وحياء، ومنهن من قد من الله عليها بمحب ، او خطيب ، فما بها ـ من بعد ذلك ـ حاجة الى ان تنشد محبا او خطيبا جديدا !..

ولقد كانت سميحة من اللاتي ما زال يتنازعهن الحياء .. فما كانت لتتخلى عن مكانها في الصف الامامي ذاك ، الا اذا عاقها في مجيئها في الصباح الباكر عائق ، حيث تشغل زميلاتها المكان جميعا .. فلا يكون ثمة بد من ان تجلس في المؤخرة ..

ويوما .. كانت واقفة امام احد « الاكشاك » خلف مباني الجامعة ، تسعى للحصول على « الملازم » التي صدرت في يومها ذاك.وكان الراغبون في ذلك من الطلبة كثيرين ، ينتظمون في « طابور » طويل ، لا يكاد يتناقص افراده من الامام حتى يتزايدعددهم في المؤخرة ..

وقد كانت المحاضرات في ذلك اليوم قد تقضّت كلها.. وسميحة في سبيلها الى الانصراف ، ولكن عاقها عنه حرصها على الا تنصرف من دون الملازم، وعددها في ذلك اليوموفير.. وفضلا عن ان اجازة نصف السنة تبدأ في غدها ، وتمتد حتى آخر يوم من الاسبوعين المقبلين .

وانها لفي حيرتها تلك .. ما احست الا ويد احدهم ـ في اول الصف ـ ترتفع تومىء لها بالاقتراب ...

واستشعرت بشيء من الاضطراب .. على انه لم يبلغ ان يمنعها من ان تتدانى نحو صاحب اليد التي اومات .. وتدفع اليه بالبطاقة التي في يدها ، والتي بللها تعرق كفها طيلة تلك الدقائق !

وسميحة تعرف صاحب هذه اليد . انه ذلك الفتى الانيق الظريف. الذي لا تفتأ ـ في جلوسها في نادر الاحايين في آخر المدرج ـ تتسامع همسه مع زميلاته .. في صميم المحاضرة !.. انها لم تتعرف اليه ، ولكنها تعرف ان اسمه .. عادل ، من نداءات كانت توجه اليه من البنات يطلبنه اليهن !..

وما لبث ان اقبل اليها عادل .. وقدم لها الملازم ، فشكرته الشكر الجزيل ..

بعد ايام قليلة، في الاجازة، حملت سميحة حقيبتها ، واتخذت سمتها الى الجامعة .

ودخلت الى مكتبة الكلية ، تريد ان تحضر « البحث » التي تطلبه منها استاذها في « الفصل » ، وهي قد آلت على ان تعمل في تحضير البحث طيلة يومين متتاليين ، لتجعل منه اطروفة ليس لها مثيل .

على ان الفتاة لم يسبق لها ان حضرت بحثا في ماضي ايامها .. وهي الان لا تعرف من اي نقطة تطرق الموضوع اولا ! حسنا ، انها قد جمعت كتبا تربو على العشرة ، تعالج كلها الموضوع الذي تود الخوض فيه . ولكن ايا من هذه الكتب تقرأ ؟..وهي ان قراتها جميعا ، فانها لا ريب مستنفدة ايام اجازتها كلها .. ثم امسكت بواحد منها ، وغرقت في مطالعته الى حين .

وهي كذلك ... دلف الى القاعة عادل ، يحمل هو الاخر حقيبته .. ولعله قد لمح الفتاة ، التي قرأ اسمها منذ ايام على البطاقة .. وهو قد كان يحييها لو كانت تنظر اليه ، ولكن يبدو ان المطالعة قد سرقتها ، فما كانت لترفع رأسها عن الكتاب ابدا !.

وجلس عادل الى جانب من تلك المنضدة بعيد عن مكان الفتاة ومقابل له معا .. وفتح كتابه ، وجعل يذاكر .

وقرات سميحة فصولا طوالا من المرجع الاول .. ثم رفعت رأسها وقد كل منها البصر ، وهي تحس بضيق شديد..من البحث،والمراجع،

ومن نفسها ايضا .

وراحت عيناها تتنقلان ما بين خزائن الكتب ، ووجوه الحاضرين .. حتى وقع نظرها على محيا عادل .. فاستكان عنده لا يريم !

حقا ، ان عادلا لفتى وسيم ، وهو على ذلك يحترم المراة ويجلها ، وليس يستنكف عن مد يد المعونة اليها انهي مستها حاجة لذلك ؛ الم يحصل ان حمل لها بطاقتها ، واستحضر لهـا الملازم ، فوفر عليها عناء انتظارطويل ؟

وجعلت سميحة تتساءل .. اوقع عليها نظره ساعة دخوله القاعة ؟ ..

وسهت عينا سميحة الى الفتى ، وافكار شتى تترى في خيالها .. ثم ما احست الا وراسه ترتفع عن الكتاب ، ليراها في سهوها ، فتنفرج شفتاه عن ابتسامة مرحة ، وهو يقول :

ــ صباح الخير .. يا سميحة ؟

واحمر وجهها اذ ردت له التحية !

ثم ما لبث ان قام اليها حيثكانت، واشار الى عديد الكتب امامها ، وقال يمازحها :

ــ ما كل هذه المراجع ؟.. يخيل الي معها انك « فقيهة » بالقانون ، لا طالبة !

ــ اسكت يا عادل .. لا يغرنك عديدها .. انني لا اعرف كيف احضر البحث .. لقد مضى علي في المطالعة الان ساعتان ، لم ازدد فيهما فهما بالموضوع ، بل لعله قد استبان لعيني جهلي في تحضير البحوث !

ــ الم يسبق لك ان حضرتبحثا ؟

ــ ابدا ..

فما كان من عادل الا ان جلس بجوارها..وجعل يشرح لها الخطوات الواجب اتباعها في سبيل تحضير بحث ، ووضع لها « مخططا » مبينا فيه العناصر التي يتألف منها البحث فقد كان على بعض خبرة في هذا المضمار ، وقد حضر في ما مضى من ايامه عدة ابحاث !

وقام الى مكانه ، من بعد ذلك ، ليأتي بحقيبته وكتابه ويستقر بجوارها يقرأ .

وجعلت سميحة تراجع من جديد. وهي كذلك تستعصي عليها نقطة في البحث ، فتقوم الى عادل ، وتقف بلصقه او تكاد، تستوضحه ما استغلق على فهمها من امر ، وتنحني اليه ــ في ذلك ــ وهو على كرسيه ، لتشير الى عبارة في الكتاب .. فتعانق خصلات من شعرها المنسدل شعر الفتى .. بل يكاد خدها ان يمس خده ، حتى ليحس بانفاسها تصافح وجهه ! .. ويلحظ الطلبة المتناثرون فيالقاعة ذلك.. فتتسع فيوجوههم المحاجر ، لتمعن احداقهم في الالمام بهذا المنظر الفريد ! ! .

ان سميحة لفتاة حيية خجول .. فاي دفقة من جراة عجيبة واتتها ،في تلك اللحظة ، حتى فعلت فعلتها ؟..

وفي منصرفها .. كان يغمر قلبها فيضدافق من سعادة وسرور .. لقد غدا لها اليوم زميل ، كما قد كانت تروم ، بل ابعد مما خطر لها على بال !

وتصرمتالايام المتبقية من الاجازة، وانفتحت الجامعة ابوابها ..

وليست تدري سميحة اي باعث ذاك الذي جعلها تستنكف عنالجلوس في ذلك الصف الامامي بين البنات.. ودفعها الى ان تدخل المدرج من بابه الخلفي ، وتجلس في المؤخرة !..

ومر عليها عادل محييا ، وهويهبط الدرج ، بغية ان يتخذ له مكانا ادنى الى منبر الاستاذ المحاضر ، فلما عز عليه تحقيق طلبته ارتد الى الوراء يرتقي الدرج ثانية .. وما وعت سميحة الا وعادلا يقترب منها ، ويسألها عما اذا كان بجانبها حيِّز يتسع له ؟.. فاجابته بترحاب ، ثم لملمت اذيال ثوبها ، التي كانت تشغل الحيز الى جوارها ، ليتسنى له الجلوس !.

وفي توارد الايام..جعلت سميحة تستشعر بسعادة عارمة تجتاح كيانها.. لقد غدا لها اليوم زميل ، كما للكثيرات من صويحباتها .. فهي لم تعدتعيش في حرمان وانطواء ..

واصبحا يجلسان في آخرالمدرج ، معا .. فان انصرفا ، خرجا من الكلية يسيران الهوينا جنبا الى جنب يتحدثان في ما طاب لهما من حديث.

وكان يبدو معها في حديثه لطيفا رقيقا .. وسميحة ــ من اجلذلك ــ تمثلت فيه الزميل المحب .. الذي حلمت به طوال ثلاث السنوات التي خلت .. وحمدت الله كثيرا على ان التقت بزميل من قبل ان يتقهقرذلك العام الاخير ، حيث لا يتسنى لها ان تلتقي ــ بعد ــ بشباب ناضر مثقف كمثل من ترى وهي ــ اليوم ــ في الجامعة !

وتبدى لها الوهم ــ الذي كان يمرح في خيالها ــ اشبه بالحقيقة المجسدة.. تبدى لها ان عادلا معجب بها ، وانه يحبها ، وانه لا ريب طالب يدها في يوم آت ، قريب او بعيد ، فان كان بعيدا فلن يكون ابعد مما قبل الاجازة التي تسبق الامتحان النهائي عادة !..

اصبحت سميحة .. ان كلمها عادل في شأن من شئونها الخاصة ، اخذته على انه استقصاء المحب عن امور الفتاة التي هو في طريقه الى ان يتخذ منها الزوجة المخلصة في يوم قريب آت .. فان هو حدثها في شأن من شئونه الخاصة ، اخذته على انه اخبار مقنع عما يحيطه من وضع ويكتنفه من حال !..

وانها قد باتت تشعر بالقلق .. لترقبها الكلمة التي يريد الفتى ان ينطق بها .. كلمة احبك ، انتوي ان اخطبك .. فمتى يقولها هذا الفتى ، ان تصريحا او تلميحا ؟

على ان سميحة رات عادلا يمر عليها ذات صباح مرور الكرام ، وهي في مكانها في المؤخرة .. مجرد تحية خاطفة القى بها اليها وهو في عجالة من امره .. ليتخذ مكانه امامها .. بجانب زميلة له ممن كان يكثر من قبل الجلوس معهن والتودد اليهن ..

وغاظها منه هذا التصرف ، وعدته طعنة نجلاء تسدد الى صميم ما

يشدها اليه من آصرة ، هي في زعمها آصرة متينة ليس الى فصم عراهـا من سبيل !.

وفي اليوم التالي .. مر عليهـا محييا كذلك .. ليجلس الى جانب فتاة اليوم السابق عينها .. يمازحها، ويداعبها ، ويهمس في اذنها همسا رقيقا ناعما .. ضجت منه الغيرة في نفس سميحة اي ضجيج ، وصخبت في اعماقها ثورة لاهبة !..

وفي ساعـة الانصراف .. رات سميحة ان تكلم عادلا في هذا الامر ، لتلومه وتعززه كل التعزير .. فهذا ما لا يليق به ان يفعله .. لا سيماعلى مسمع منها ومرأى !..

رات ذلـك ، واندفعت الى باب المدرج تستحث خطاها لتلحق به من قبل ان يزوغ.. ولكنه كان قد سبقها فما ادركته .. وانما رأته عن بعد ـ على مسافة غير يسيرة ـ يمشي والى جواره احداهن !

واحست سميحـة ـ ليلتها ـ بالغيرة الصاخبة تعوي في نفسها .. وتهز منها الكيان هزا عنيفا !

وفي يوم تال آخر .. مر عليهـا مصبحا ، فما ردت له التحية .. لانها رأته في سبيله الى فتاته الجديدة ..

وقبيل المحاضرة، جاءها ليهمس في اذنها بانه يود ان يلقاها مع الانصراف .. فما كان من سميحة الا ان هزت رأسها في غيظ دفين !

وفي تلك المحاضرة الاخيرة ، كان عادل الى جانب فتاتـه في المدرج يتهامسان .. وسميحة عن كثـب منهما ، تشهدهما ، وتحصي عليهمـا الحركات والسكنات .. وهي تبذل قصارى جهدها لتمسك نفسها عـن الصياح والبكاء !!

فاذا ضرب الجرس معلنا انتهـاء المحاضرة .. كانت سميحة في طليعة الخارجين مـن المدرج .. حتى اذا احتواها الفضاء غذت في مسيرهـا كانها تعدو عدوا ..

وتفقدها عادل في خروجه، فلمحها من بعيد تسرع في خطوها .. فلحق بها ، وادركها في موقف الاوتوبيس ..

قال لها ، وهو يبتسم :

ـ مالك مسرعة هكذا ؟ ..

فلم ترد ، وظلت على قطوب في وجهها شديد .. فعاد يقول مازحا ، وهو لا يدري حقيقة ما يعتمل في نفسها من عواطف :

ـ يبدو انك جائعة .. تطلبـين البيت للغداء ؟

فصاحت بحدة : ـ لست جائعة !.

وقد عجب عادل من هذه الحدة في خطابها .. وهو قـد كان يريد ان يحدثها في شان طلب من اجله ان يلقاها مع الانصراف، ولكنه راى الحال على غير صفاء ، فصمت دون قصده لا ينبس بكلمة !..

وبعد هنيهة صمت ، ينتظران فيها الاوتوبيس ، التفتت اليه ، وكانمـا ضايقها وقوفه معها ، وقالت :

ـ مالك واقف؟.. لا تمش معي.. لا تكلمني .. لست اريد ان القاك .. لن آتي منذ الغد الى الجامعـة .. ايرضيك هذا ؟؟!

واذ ذاك.. جاء الاوتوبيس،فدلفت سميحة اليه ، واوصالها مـن فرط الانفعال ترتجف ارتجافا ، وسحنتها صفراء كالورث !..

ومضى عادل .. وهو لا يفقه مـن



أمر ثورتها تلك غير الفاظ نابية قذفت بها في وجهه !..

وجعل يحدس ويخمن ، فما وصل الى سبب واحد معقول يبرر به هذه الثورة العارمة .. على انه جال في ذهنه ان يكون الباعث غيرة اندلع اوارها في صدر الفتاة !.. ولكن من قال للمجنونة انه يحبها ؟.. انه زميل لها ، كما كان – وما يزال – زميلا لغيرها من الناس !..

اما سميحة .. فقد بكت ليلتها طويلا !..

بكت غيظا وحنقا من تصرف صديقها عادل .. وبكت حسرة وندما لانها اساءت الى عادل ابلغ الاساءة في خطابها الارعن ذاك !.. ما كان لها ابدا ان تغار وتثور ، فان هي غارت فحقيق بها ان تضمر الغيرة في نفسها لا تبدي منها شيئا !..

وفي باكر الغد .. سعت سميحة الى الجامعة تريد ان تعتذر الى عادل لتمحو الاساءة التي سجلتها حماقتها على صفحة نفسه النقية ..

راته مقبلا الى الكلية ، وعلى شفتيه ظل بسمة خفيفة ، فلما غدا امامها ابتدرها :

– صباح الخير يا سميحة ... كيف حالك ؟..

– لا تسلني عن حالي .. كيف حالك انت ؟..

– انني بخير ..

قال ذلك ، وكان شيئا لم يحدث في ظهيرة اليوم الماضي ، على ان سميحة ما ملكت ان سالته :

– هل انت « زعلان » مني يا عادل ؟..

– ابدا !..

– صدقني ، انني كنت منفعلة البارحة لاسباب وقعت لي في صباح الامس في البيت قبل أن آتي الى الكلية !..

وسارت الايام .. كما كانت تسير قبل « ثورة » سميحة .. وسميحة تموت في كل يوم مائة ميتة كلما رات عادلا يتحدث الى غيرها او يضاحكها فعل الصديق المحب ؟..

... وتقضت الايام المتبقية من العام الجامعي ، على هذا المنوال .. وحلت اجازة ما قبل الامتحان – وهي تقارب الثلاثة الاسابيع – وخلت سميحة الى نفسها في بيتها تذاكر ، وقد ركبها هم وغم بالغان !

ومضت الاجازة ، الا اقلها ..

وسميحة في شرفة بيتها ذات اصيل تستريح من عناء المذاكرة ، وتسترجع ذكريات الماضي القريب.. اذ بها ترى ... ماذا ترى ؟ .. رات عادلا مقبلا من اول الشارع ، رافعا بصره اليها .. فلما اقترب ، اطرق ، ومضى في اطراقه !

لا بد ، لا بد قد مسته يد الحنين بعصاها السحرية.. حنينه الى فتاته الوديعة الهادئة .. فاندفع اليها في بيتها ، يمر من تحت شرفتها ، مؤملا ان يراها ، فيخفف بذلك من لوعته ، وينقع صدى قلبه !..

ولكن.. لم لم يرفع بصره اليها اذ غدا تحت الشرفة ؟.. لا ريب ان الخجل قد رده عن ذلك ، او الكبرياء! واندفع نداء الى حلقها يود ان ينطلق بطلب عادلا .. ولكن حبسه في حلقها تهيب من أهلها وحياء في نفسها متأصل !..

وفي يوم الامتحان .. راته في « السرادق » يجلس غير بعيد منها ، فاحست بنشوة تغمرها .. وتمنت لو أمكنها ان تترك مقعدها لتذهب اليه ، وتذكر له انها راته .. يوم ان مر من تحت الشرفة، في ذلك الاصيل الذهبي !..

ولما التقت به خارج « السرادق » ابتدرته بقولها :

– لقد رايتك تمر من تحت شرفة بيتنا !..

فتطلع اليها عادل ، وتساءل : متى ؟.

– يوم الخميس الماضي .. في الساعة السادسة والدقيقة السابعة عشرة مساء !

– لا اظن ذلك .. لانني لست أعرف بيتكم !..

– بلى !.. لقد مررت يا عادل .. ان بيتنا يقع في اول شارع نوال « بالدقي » ..

فتفكر قليلا ، وقال كمن فطن الى شيء :

– آ .. حقا ، لقد كنت في طريقي الى بيت زميل لي يسكن في آخر شارع نوال هذا ..

وليلتها بكت سميحة ، وذرفت دمعا غزيرا .. أيكون العام الاخير اذن قد تصرم ، واحلامها طارت كلها هباء ؟!..

★ ★ ★

ويوم اعلان اسماء الناجحين .. كانت سميحة تقف بجوار عادل ، تتنصت الى الاسماء ، وهي تتلقط انفاسها ..

وكانت من الناجحين ، مثلما نجح عادل ..

وقد سالت صديقها اذ ذاك :

– ما تنوي ان تفعل بعد اليوم يا عادل ؟..

– قد اكمل تحصيلي العالي في الخارج .. وسكت هنيهة ، ليسألها :

– وانت يا سميحة ، ما ستفعلين ؟ اتنوين اكمال تحصيلك ؟..

ولم تجب سميحة .. لان عادلا ، بسؤاله هذا ، قد قطع لها آخر خيط في أملها الواهي .. لم تجبه ، بل مضت عنه في هدوء .. ودموع حارة تترقرق في مآقيها ، لتنحدر على خديها !..

وفي خروجها من مبنى الكلية .. لحق بها جمهرة «الفراشين» كالجراد، يستعطونها « البقشيش » .. ولكن أسبقهم اليها – وقد لمح الدموع في عينيها – كر راجعا ، وهو يجمجم على مسمع من رفاقه بأسى :

– اتركوها .. لقد رسبت !!

اجل . لقد رسبت سميحة ..

انها لم ترسب في الامتحان ، ولكن رسبت في الحب !!

حلب فاضل السباعي

شاعر الليل

الى الشاعر البير أديب محطّم الاصنام

●

أيها الشاعر المضمّخ بالاحلام ، والليل واجم الروح سادر
لفك الصمت، والجراح نديات ، ودفق الدماء أهوج ثائر
وعلى جفنك المسهّد ، أشباح غرام ، مطيّب البوح،عاطر
حضنته القلوب وهماً رضيّاً وروت حبّه، العيون الفواتر

✶

هل سألت الربا، وفي شفتيها قبلات الاحباب للاحباب
ظلها مونق وهمستها الخضراء وعد يموج بالاطياب
والشحارير، ذكريات من الامس، تلاقت في نشوة الاكواب
بعضها جائع الى المخبأ الوردي ، والبعض حالم بالعباب

✶

والسفوح المنضّرات لقاء بين عينين ، في ذهول عميق
رف هدباهما هوى، وتغنّت كل حوراء بالغرام الانيق
والخدود التي استفاق عليها الزهر، سالت بالف معنى رشيق
صور للجمال ، ترشح بالاعراس، في عالم شهي رقيق

✶

أيها الشاعر الكئيب، وفي أعماق عينيك، مأتم، وجراح
أرجف الحاسدون، ان شراع الوحي،هزّت خيوطه الاشباح
فرية تخجل المروءة منها وكئوس بالمخزيات طفاح
لو يحسّ الجبان ، بالالم المكبوت ، لانهار حلمه اللمّاح

✶

شاعر الليل، انت مثلي في دنياك، مرمى لخائن، وحسود
هدّ ركن الجناة ، انك بحر عربي من مكرمات وجود
واثار الذئاب ، حس عميق بالغوايات ، في مداها البعيد
وتنادت تودّ لو تأكل العظم فردّت سهامها للكبود

✶

شاعر الليل،لاترعك دعاوي الغدر،واركب مع [الاديب] السماء
وتخط الحدود، انت جناح عبقري ، يطاول الجوزاء
لا تخف أن يغار منك لئيم آية اللؤم ان يكون رياء
رب مجد هوى ، وكان عظيماً وشنار سما ، وكان هباء

✶

شاعر الليل ، لا تلم شاعر الصحراء ، والليل جنة الشعراء
ان جرحاً ،يسيل من صدرك المطعون، جرح يفيض بالكبرياء
لوّن الفجر بالدماء ، فغاب الليل، والفجر، في عباب الدماء
يا لهاث الجراح، في موكب الافياء، حيّيت يا دم الانبياء

✶

شاعر الليل، نحن في الكون سر اخضر يزرع الربيع طيوبا
طاف بالخالدين، ببيت من الشعر،وغناهم الجمال الخضيبا
وتحدّى هتافه، القمة الشمّاء ، كبراً ، وثورة ، ولهيبا
أبداً يصفع النجوم ، ويأبى أن يكون المقارع المغلوبا

✶

شاعر الليل، بح صوتي، ولاحت خيبة الملهمين، في ناظريّا
لا تلمني ، اذا هدرت انتقاماً ونفضت الدماء من رئتيّا
انت مثلي ، تصارع الالم القتّال، في عالم هجين المحيّا
لست أدري، أأنت تلمح كوناً عربيّاً، أم عاصفاً أجنبيّا

✶

يا صديقي، غمرت جرحك بالانغام، فانهلّت الورود جراحا
لا تلمني ، أكاد أجهش محموماً، ولو روّت الدماء البطاحا
الف عار، والف عار على الايام، أن يقتل الكريم كفاحا
قصة النسر،حين مدّ الى الشمس جناحاً ، وللخلود جناحا

✶

شاعر الليل، حان أن تجمد الالحان، في صدر شاعر الصحراء
ما هجرت الغناء، لولا أفاع ساءها في الصباح رجع غنائي
ملأت مسمع الظلام فحيحاً فارتمى مثقلاً من الاعياء
ان من ضيّع الكرامة ، مزهواً ، حقير أضاع نبل الحياء

سوريا ـ السلمية

أنور الجندي

شعراء خالدون : جون كيتس

بقلم هنري ودانا توماس

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

ولد جون كيتس [١٧٩٥ – ١٨٢١] في اسرة متواضعة ومن والدين غير مرموقين . فجده كان يشتغل في تربية الخيل وابوه مدرب الخيول الرئيس وقد تزوج ابنة استاذه فكان الشاعر الولد البكر من زواجهما هذا . ذهب الصبي الى المدرسة في (انفيلد) حيث درس اللاتينية ومال الى الراحة في البحيرة المجاورة ، كما هو شأن ابناء طبقته من متوسطي الحال . ولكنه كان اكثر اترابه حساسية ؛ وهذا ما جعل اساتذته يشيرون اليه بقولهم انه « مخلوق العاطفة » .

وفي غضون الاسابيع الاولى في (انفيلد) عانى المزيد من الحنين الى بيته ، ومن ذلك انه كان يسد فمه باللحاف لئلا يسمع نحيبه حين يأوي الى فراشه في الليل . ومع شحوبه ونحوله وقامته التي لم تكد تبلغ الخمسة اقدام ، فانه عرف بشجاعته وشدة بأسه وقوة شكيمته ، الى حد ان ابسط استفزاز كان يثيره فيلجأ الى قبضتيه . الا ان اهتمامه بكتبه فاق اهتمامه بقبضتيه . ذلك انه كلما فتح كتابا استغرق في (مباذل القراءة) .

فقد والديه قبل الخامسة عشرة من عمره . فقد قتل ابوه على اثر سقوطه من صهوة جواد ، وماتت والدته بداء السل . فوضع « الشاعر المحارب » الصغير تحت رعاية المستر آبي الولتمتوي . اما ايام صباه ، فقد انتهت على عجل ، بعد ما اثارت فيه من مشاعر « كانها قراءة قصة لم تفارقها الجدة قط » ويعود السبب في ذلك الى انه اجبر على مواجهة واجب لا مناص منه : وهو اتخاذ قرار حاسم لتعيين عمله في المستقبل .

وضعه ولي امره عند احد الجراحين في ايد مونتون . ولكن كيتس لم يرغب في مثل هذا الضرب من العمل . صحيح انه فكر في انجاز اشياء عظيمة – ولكن ليس في حقل الجراحة . وقد اغتم اصدقاؤه الحسنو النية عندما رأوا اتجاه افكاره حين طالب احدهم اعارته كتاب سبنسر (الملكة الساحرة) . كان يمرح خلال مناظر الشعر الرومانسي « كانه يشبه مهرا صغيرا اطلق من اساره وسط مسرج اخضر » . ذلك بان عدوى الشاعرية اصابته ، فلم يكن له بد من الانجراف في طريقها . واصل دراسة الجراحة لمدة يسيرة من الزمن ، وتسلم على اثر انتهائها شهادة (مضمد) . ثم جنح الى شعره معتذرا بخشيته من « عمل السوء » في عمله الجراحي .

كان شابا عنيدا ، مخمورا بالجنون من اجل الجمال . وهذا ما حدا بالناس الى تجنب مناقشته ، لان ايسر اثارة في وسعها تحويله الى دوامة من الجنون . ومن ذلك انه لما كان طفلا في الخامسة من العمر ، اصابته نوبة من العصبية مرة ، فامتشق سيفه ووقف بباب غرفة امه ، معلنا بان ليس لاحد ان يخرج او يدخل . دهش الناس من صفراوة عاطفته (ولكن هذه الدهشة لم يكن لها ما يبررها) اذا نحن عرفنا بانه عاش حياته بجماع كيانه « وتلمس الحزن والفرح بكلتا يديه » .

كان في الثانية والعشرين شابا ربط نفسه بحرفة (عابثة) وكرّس حياته لجماعة من الحالمين من اضرابه . وقد اعتمد في حياته تلك على دخل يسير من ملك والده ، متخذا (هامستد) موضعا لسكناه مع اخيه توم ، بجوار حانة (الرجل الاخضر) . اما جورج احد اخوته فقد تزوج وذهب الى امريكا مع زوجته ، واما اخته الصغيرة (فاني) فقد كانت شابة صغيرة في باكورة العقد الثاني من عمرها ، تعيش في كنف ولي امرها المستر (آبي) .

واصل جون كيتس ، الشاب السعيد ، عمله في نظم قصيدة طويلة ، بعد ان وجد ناشرا لها . وقد سرَّ أعمق السرور بمرافقة جمهرة من اصدقائه : كاتب المقالات لي هنت ، وزميله القديم في المدرسة ، كاودن كلارك ، وتشارلس ارميتاج ، ذلك الشاب اللطيف الخمّير الاكول ، الذي يشبه فالستاف(1) في صفاته .

(1) شخصية من شخصيات مسرحية (هنري الرابع) لشكسبير عرفت بلطفها وبشاشتها ومرحها

وفجأة خطت المأساة الى حياةجون كيتس بغير اعلان. ذلك بان أخاه توم اصيب بداء السل . وهو الداء الـــذي تأصل في اسرته . وفي غضون اشهر قلائل ، أضناه الاطباء وانهكوه حتى غدا شبحا ، وكل ذلك بسبب جهالتهم . عني جون به بكل رقة ولطف ، وراقبه وهو ينهار ساعة بعد ساعة . ولما اشتدت به الحاجة الى الراحة سافر مع تشارلس براون الى منطقة البحيرات والاراضي المرتفعة الغربية . ثم عاد ادراجه ليرى اخاه النظرة الاخيرة . لـــم يكد توم يبلغ العشرين حين وفاته .

انغمس جون كيتس في اعصار المجتمع بعد ان ركبه اليأس . فبحث جادا عن الشابات الساحرات . لانه كان شاعرا محبا للجمال . ومع طبيعته الخجولة ، فقد قـال مازحا ذات يوم بانه كان امام المراة الجميلة « يستغرق في الاعجاب الى حد ينسيه الرجفة او الغلظة . حتى انـه يفقد الشعور بوجوده لان استغراقه فيها يبعده عن ذاته». هكذا شرح صدره « بمحادثة نساء لندن المحبوبات ، ذوات الشفاه العذبة المليئة بكل ما لذ وطاب » . ومن بين (سيدات لندن) كانت (فاني براون) . لم تكن جميلة كالاخريات ولكنها كانت تنبض بالحياة والاثارة والشباب . لقيها اول وهلة وهي لما تزل في الثامنة عشرة . وقد ذكرها «عرضا» في رسالة وجهها الى اخيه في امريكا . جاء فيها « هل لي ان اقدم لك صورة عن الانسة براون ؟ يبلغ طول قامتها حوالي قامتي .. ولكنها بحاجة الى الشعور والعاطفة في كل سمة من سماتها ... فمها رديء التركيب وجيـــده وسحنتها العامة احلى من منظر وجهها التام . ذراعاها على شيء من الجمال ، ويداها سيئتان ، اما قدماهـــا فمحتملا النظر ... ولكنها جاهلة ، مرعبة في سلوكها تركض في كل اتجاه ؛ تدعو الناس باسماء شتى فيهـــا الكثير من الخزي ، مما اضطرني الى اللجوء الى كلمة خليعة وصفا لها . » ومحاولة مثل هذه لذر الرماد في عينـــي اخيه لم تجده فتيلا . ذلك بانه هوى بجنون في شبـاك هواهـــا .

★ ★ ★

تلهف الى زواج مبكر يربطه بفاني براون ، والى سفرة من السعادة القصيرة الى روما . الا ان الامر كله لم يكن غير حلم من احلام الشعراء . اذ كيف يكون الزواج مبكرا ، وهو لم يزل شابا ذا دخل محدود ، ليس له من شغل دائمي غير نظم الشعر ؟ ثم انه ادرك عاجلا بان هذا الشعر نفسه لم يعد غير موضع للسخرية في كل مكان تقريبا . ولما نشر قصيدته الاولى (انديميون) بادئا ببيته الخالد « ان شيئا من الجمال سرور ابدا » هاجمه النقاد الشباب الشرسون لما سموه « شعر الكوكني(1) » واشاروا اليه كشخص « ترك عمله المحتشم من اجل هذه التجارة السوداوية » ثم واصلوا كلامهم بهزل قائلين « ان هذه القصيدة تتضمن ٤٠٧٤ بيتا، وهي مطبوعة على ورق جميل جدا ، يبيعها باعـة الكتب المحترمون في لندن بتسعة شلنات ... ثم اننا نرىضروريا ان نضيف لكل ما سبق قوله ، بان كل ما كتب في هذه القصيدة منظوم على وفق القافية المعروضة بالمثاني البطولية» ثم ختموا كلامهم بنصح كيتس بالعودة الى جراحته او اسطبل ابيه .

ولكن كيتس ، مع خيبته الشديدة ، لم يَرتع ، بـــل استمر بعناد في عمله . لان الموهبة الواهنـة وحدهـــا تتوقف عن تطورها ، من جراء هجوم بذيء . ثم ان كثيرا من اصدقائه ، ومنهم برسي شيللي ، اعلنوا انهم وجدوا بعض المقاطع ذوات الجمال الشاعري العبقري في (انديميون). ولكن كيتس لم يُخدع في الامر ، لان التصنع لم يجد لـــه سبيلا اليه . فالنقاد كانوا على حق ، كل الحق ، بشـــأن تفكك (انديميون) في مجموعها . وقد قال كيتس بهذا الصدد « ان هذه ليست جريرتي ... والقصيدة جيـدة طالما كانت لي المقدرة على صياغتها بنفسي ... ولو كنت متشددا في ان تكون اثرا خالدا ، وعلى هذا الاساس سألت النصح ، وارتجفت في كل صفحة ، لما كان في ميسوري كتابتها ... لم اخش الخيبة قط ، فخير لي ان اخيب من ان لا اكون بين العظماء . » لانه شعر بوجوب دراسة العبقرية في الشعر دراسة ذاتية . فلا بد لها من الكفاح في مهاويها للوصول الى خلاصها التام .

★ ★ ★

غدت حالته المالية اكثر خطرا ، لان ارثه تجمد في دعوى قضائية لا نهاية لها . عاد اخوه ، جورج من امريكا ليحصل على نصيبه من الميراث على اثر وفاة توم . ولـــم يأخذ حصته وحسب بل قسما كبيرا من حصة جون ، بعد ان امله بان يحول له ذلك ، حالما يبيع جزءا من ماله . الا ان جون لم يتسلم هذه الحوالة قط . كان جون في فجر حبه الذهبي يستنكف من تعاطي ذهب الصيارفة . وفي زهو عاطفته هذه ، كتب اغنية وجهها الى القديسة اغنيس ـ العذراء الرومانية ذات الايمان المسيحي ، التي استشهدت في مذابح ديوكليسيان .

جاء في الاسطورة القديمة ان والدي اغنيس اقبلا ذات يوم الى قبرها ، فشاهدا وهما مندهلان صورة اغنيس (في السماء) وعلى رأسها تاج من الضياء ، يحف بهـــا زمرة من الملائكة . وهكذا اصبحت القديسة اغنيس الشهيدة، خلال العصور الوسطى ، رمزا للطهارة العذراء ، واضعـة الشابات العذارى البريئات تحت رعايتها . ومرة في كل سنة ، في عشية اليوم المسمى باسمها ، تتفضل القديسة باسباغ النعمة على العذارى ، فيشاهدن ازواجهـــن في المستقبل في احلامهن تلك الليلة . غير انه ينبغي لمن يريد منهن الحصول على نعمة هذه الرؤيا ، انجاز بعض الشعائر

(1) المقصود بـ (كوكني) لهجة سكان لندن ،

الضرورية . فلا بد من الصيام بياض اليوم ، والنوم من غير اكل . ثم عليهن الامتناع عن تقبيل أي رجل او اي امرأة او طفل حتى الفطور مع ازواج احلامهن .

وبوحي هذه الاسطورة ، اجاد كيتس الغناء عن عذراء تدعى مادلين وجدت محبها الحق ، بورفيرو ، في مقصورة يضيئها القمر ، في قلعة غوطية قديمة . ومن ذلك اليوم فصاعدا ، سحر الاحباء والعذارى متأثرين باغنيته . ان (عشية القديسة اغنيس) هي اول تعبير دقيق لعبقرية الشاعر . وقد اسرع اكثر النقاد حصافة الى الاعتراف بذلك.

وقد ارسل احد الذين نشروا (عشية القديسة اغنيس) كتابا الى قريبه يقابل فيه بين قصيدة جون كيتس وشعر شكسبير ، مفضلا شعر الاول على الثاني ، لو انه كتب في ذات العمر ، ومما ورد في كلامه قوله « يمكنك ان تجد في القصيدة كثيرا من الجمال والوحي ، وقليلا من الغرور والذوق الرديء ، وبكلمة اخرى ، فيها من البهاء اكثر مما تجده لدى شكسبير . وهذه فكرة مدروسة ، لم تصدر مني حسب . . »

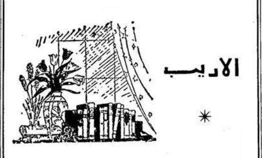
ولكن كيتس لم يسحر بهذا الاطراء ، لانه عرف بان امامه كثيرا مما ينبغي له تعلمه قبل ادراك الكمال .

وفي لهفة شبابه كان يجرب موسيقى كلماته ويحلل سايكولوجية تصوره ، وسحر الوانه . ثم انه ابدع صورا لم يبدعها غيره من قبل ؛ بصياغته لعبارات لم تتجاوب مع الحواس الجسمانية الخارجية حسب ، بل مع مشاعر الذهن الداخلية ايضا . لم يشر الى شعار اخلاقي في فنه ، لان فنه كان هو الاخلاق برمتها . فهو لم يشرح تجربته ، بل عرضها كما هي . فشعر بان الجمال هو الطريق الوحيد الى الحق ، كما هو شأن الشاعر الالماني غوته . لان ضياء الفن ، كما اعتقد ، فيه من الوحي والالهام اكثر مما في قوانين العلم جميعا . هذا ، بالاضافة الى ان حقائق الوجود لا تراها عين العقل ، في حين تكون بارزة لروح الشاعر في لحظاتها السامية الباهرة .

وتعلقه باكتشاف وقائع الحياة هو الذي دفع به للتجوال خلال الكاتدرائيات ، مصحوبا باحلامه فقط . فاشعة الشمس حين تتخلل زجاج النوافذ الملونة ، تضفي سحرا سريا الى السقوف السامقة الصامتة ، واروقة الاعمدة، والغابات المقببة الواسعة في المباني الغوطية الرائعة . وهنا كان يتخيل نفسه في الماضي ، بعد ان يضيف الى هذا الماضي نفس الحياة ولونها .

وذات مرة نظم قصيدة تحت عنوان « السيدة الجميلة التي لا رحمة عندها » ـ وهي زهرة عبقرية لم يكن لاريجها مثيل في حدائق الفروسية القديمة الغناء . وبعد ان احيا « رومانس » العصور الوسيطة ، اوغل خياله القلق في سفراته الى الماضي البعيد . ثم كتب « قصيدة على ضريح اغريقي » تمتاز بروعتها الوثنية . لم يعرف مقطعا من اليونانية ، ومع ذلك ، فمفتاح عبقريته نشر آثار الموتى

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩
Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

القدامى ، وهناك مشى عالم من الرجال الاحياء . الا ان قلقه الدائب ، اضطره الى ترك العالم القديم ، والنزول الى اروقة خياله ، واللجوء الى تلك النوافذ المتطلعة الى آفاق الحاضر الملتهب .

أدركت عبقريته الان نضجها المحتشم ، فقال « انا الان في الثالثة والعشرين ، وفي عز حماستي أغريت ببعض المقاطع الجميلة » وهذا تهوين مدهش من شأن شاعركتب حينئذ بعضا من اعظم الابيات في اللغة الانجليزية . ومهما يكن من امر ، فانه كان طفلا غير ناضج من بعض الوجوه . فاذا كان تيسر له النجاح في تقليد اغاني بان (اله الرعاة) فهو لم يزل يجهد باتضاع لارتشاف حكمة افلاطون . ولن يقدر على فهم الحياة ، حياته التي وصفها في كل وتر من وجوده الشاعري ، والتي شعر بها شعورا رفيعا ، اقول : لن يقدر على ذلك ، الا خلال سني نموه الصابرة ، ولن ينال منال الفيلسوف الا بكل بطء وتؤدة .

ومع اغانيه الخالدة ، فحبه لفاني براون ، اعتوره الكثير من نواقص الشباب الفاني . احبها بعاطفة حادة تطلبت منفذا في رابطة الزواج . ولكن قابليته المالية جعلت هذا الامر غير محتمل . كتب لها رسائل مطبوعة بالشوق الملح ومختومة بالالم . وفي غضون انفصالها عنه اتهمها بالخيانة . ذلك بانها كانت تكابد كثيرا من رغبتها المشبوبة للاختلاط بالمجتمع ، ولما كان حبيبها بعيدا عن مرافقتها ، اضطرت الى البحث عن رفقة آخرين . كانت شابة غضة الاهاب ، طافحة بالبشر . عجزت ان تكون مثله الاعلى ، لانها كانت انسانة ساحرة . ومن هنا كان لوجيب قلبها الصغير من اجل السرور ، فعله لمدها بقوة حياتها . وكيتس ، عاشقا للجمال المجرد ، شاعر كامل ، ولكنه كشاب صغير متألم ، عانى كثيرا من الغيرة المجنونة من جراء حبيبته . وفي هذا يمثل نقصا بارزا عند معشر العشاق . « لان الحساسية المرهفة كانت تكافح الادراك (النير) العظيم . » فما هو جواب هذه المعضلة الخالدة ؟

ثم جاء القدر ليعطينا الجواب . ففي ذات يوم بشباط في سنته الخامسة والعشرين اصابته برودة بينا كان راكبا في عربة . عاد الى البيت والحمى تهزه هزا ، وما ان وصل حتى التجأ الى فراشه . وقبل ان يضع رأسه على الوسادة سعل فطلب شمعة . وقال « هذا دم من فمي . دعوني انظر اليه » تمعن في لطخة الدم لحظات بعين طلاب الطب ، ثم التفت الى تشارلس براون الذي كان حاضرا في الغرفة في ذلك الوقت ، وقال : « انا اعرف لون ذلك الدم . أنه لون السل . » وبتعبير لم يتمكن براون من محوه من ذهنه قال « نقطة الدم هذه نذير موتي . »

* * *

اختطف الموت ام جون وهي في ريعان شبابها ، ثم اتبعها بتوم في العشرين . والان اعلن عن استعداده لاخذ ضحيته الثالثة من الاسرة — في الخامسة والعشرين . وهذا هو السبب الذي حدا باصدقائه ليفسروا قلقه المستمر من الحناجر الملتهبة والمتاعب التي لقيها وسوداوية شعره الرقيق . ومن هنا امتاز اسلوب كتابته بلطفه وكيف لا يكون كذلك وهو اسلوب رجل موشك على الموت ؟

والى ذلك الحين رفض تصديق الامر على سوئه . الا ان الاطباء هونوا من شأن المرض ، فعدوه نازلة من البرد اعتورت رئتيه ليس غير . ومهما يكن من امر ، فانه اضطر الى الاخلاد للراحة كأي من المرضى ، فظل على حاله هذه عدة اشهر . ومن حين الى حين صحح مسودات شعره ، بينا كانت رئتاه تنزان دما حتى ليكاد يختنق . ثم اخرج مجلد اشعاره من المطبعة . ولكنه بقي في ظل اشعة ساطعة، هي اشعة شمس المجد وقد افاضت رونقها على مجموعة من الشعر المعاصر ، تحت عنوان — (اشعار وصفية لحياة الريف ومناظرها) — نظمها جون كلير ، وهو فلاح شاب . وقد التهم الجمهور هذه الاشعار بفرح مثير . عاش جون كلير ليشاهد موت ما نظمه . ولكن جون كيتس فرض عليه الموت قبل ان يرى شعره وهو ينتفض بالحياة والقوة .

وبعد امد وجيز اخبره الاطباء بالامتناع ليس من الكتابة حسب ، من تلاوة الشعر ايضا . هل كان هذا اذن خاتمة جهاده ؟ وفي هذه الحالة لم يبق لديه غير حبه . وكشخص تكاد الامواج تبتلعه ، تعلق بفاني براون اشد ما يكون التعلق . كانت هي الان حارسته الوحيدة ، وامله . وهو ان لم يحظ بها زوجة ، فلا اقل من الحظوة بها أما . شعر وكأنه طفل تعب مشوق الى النوم بين احضان والدته، ليحس بنفسها المتحرك صعودا ونزولا . « من اجل الحياة ابدا — او الانحدار الى الموت . » لبث فاني براون هذه الرغبة بروح معجبة . فواسته وطيبت خاطره ، وهونت عليه هواجسه المظلمة ، وكل ذلك وهي تدرك ، في قلبها ، بان المستقبل ليس لهما ، ولا حتى بارقة امل .

ولما جاء الربيع وانعش البلاد الانكليزية ببهاء الوانه ، لم يكن كيتس غير كومة من الثلج فيها نسمة خفيفة من الحياة . استرجع صحته لمدة وجيزة ، ثم تدفق الدم في أحد شرايينه بغزارة ، فانهارت قواه من جديد . وكلما انتعشت روحه من وقت الى آخر ، دفعت به الى نافذة حيث يمكن ان يشاهد من خلالها حركة العالم الخارجي . راى خلف الستار كل شيء في سير دائب . فامتزج عالم الواقع بعالم خياله — نساء عجائز بثيابهن وملابسهن ، ومعاطفهن الحمر، الفجر بجلودهم وملاعقهم الفضية— وعلى بعد يسير رجل مرتب الهندام يحمل تحت ابطه ساعة خشبية . ارتجف لما تخيل هذه الساعة ، فتصورها وهي تسجل ثواني وقته المقنن .

ومع هذا ، فمبدع هذا القدر من الجمال في حقل الشعر ، أبى ان يصدق ان خالق الجمال في هذا العالم سيتركه منبوذا . نصحه اطباؤه بالبحث عن منطقة دافئة

احتراسا من الشتاء المقبل ، وهذا ما حمل كيتس على الكتابة الى فاني بسرور قائلا : « ليس هذا السل ، على ما اظن ، ولكنه سيكون هو بعينه لو أني مكثت في هذه المنطقة طوال الشتاء .» امل في سفرة الى ايطاليا ، حيث يقضي شتاء مشمسا رائعا ، ثم سيعود الى الصيف الانجليزي ليكون بقرب فاني . ولعله ظن ، بان سوء حالته يعود الى عشيقته، فلولاها لما شعر بالرعب، لانحداره الىالقبر بدلا من الاندفاع الى احضانها !

ومما اشار اليه بهذا الشأن قوله « يا حبيبتي ، ان الاختلاف مذهل .» صحيح ان الموت آت الى كل انسان ، ولكن قبل تلكالساعة المفجعة، ما كانابهج قلبه لو انه استطاع تجربة المسرات التي يمكن ان تقدمها له حبيبته . ثم قال بعد ذلك « يا عزيزتي ، عليك بالاعتناء بنفسك ، كي نكون على ما يرام في الصيف .» ماذا لو ان قوته أخذت بالتدهور وظهرت بعض العلائم المشيرة الى النتيجة المرعبة ؟ فليس الحياة غير تلف جسدي ، سواء اكان بطيئا أم سريعا ، على حسب مشيئة الاقدار . فكل الناس فانون ان عاجلا او آجلا . ولكن الحقيقة الاصيلة لا تكمن في المظاهر البشعة الزائلة ؛ انما الحقيقة هي أبعد من ذلك ، هي في ايمان الانسان الدائم في الغروبالجميل لكل المصائر . لان الجمال هو الحق والحق هو الجمال . هذا كل ما نعرفه على الارض وجميع ما ينبغي لنا معرفته ...

تأهب للرحيل الى ايطاليا ، وهو على أقوى ما يكون من الثقة بان الحق هو الجمال ، وان الجمال هو الشيء الوحيد الخالد . كتب الى فاني عن امله وايمانه وحبه قائلا : « يا ملاكي فاني ... سأصبر جهدي على المرض ، كما سأتمسك بالحب ... ولن اودعك ابدا .. الوداع الاخير ..»

وفي فجر يوم كئيب قارس ، في اواخر ايلول ، توجه الشاعر الى مرفأ لندن . وقد اتفق اصدقاؤه على ان يرافقه شاب فنان يدعى جوزيف سيفرن . وبرفقة هذا الشاب ابحر في الباخرة (ماريا كروثر) وبعد سفرة عاصفة في المحيط الاطلسي ، عبرا الى البحر المتوسط حيث المياه التي احتضنت أشعة الشمس الاستوائية . كان كيتس مسحورا بقبضة افكاره . وخلف ذلك كله تضطجع ايطاليا بين احضان القمر السامق . الحياة ، والجمال ، والحق ، والشعر كل هذه الاشياء واقعية . ثم يأتي السحر يعقبه الليل حتما . عرف الان انه يواجه غروب شمسه المبكر . ولكن الرعب لم ينل منه شيئا . لان ضوء الفجر يتضمن نجمة الصبح في فلكه . ولذا فينبغي للشاعر الا يخاف مساء الحياة .

وصل الى نابولي ، وهو في حالة غير مرضية ، لانه بصق كثيرا من الدم . ومهما يكن من امر ، فانه لم يشعر بصلة تربطه بالمناظر الرائعة . ولو انه كان على ما يرام لكان في جمال ميناء نابولي ، ما يملأ سفرا كاملا من الرسائل الى فاني . اذ ان كل شخص يسعه الجذف والسير برشاقة ، والعيش بسرور قلبي ، يختلف كل الاختلاف عنه شخصيا. وفي بعض الاحيان نظر الى نفسه نظرة فلسفية موضوعية. كان يقول ، انه رجل يسير في حلم غريب من العذاب . ارسل اليه برسي شيللي ، الذي كان يقيم في نابولي ، بكتاب يرجوه فيه قضاء الشتاء معه . الا ان كيتس رفض قبول هذا الطلب ، وواصل رحلته باتجاه روما . وفي ذات يوم اشار الى شعر شيللي فقال : « هل لا يزال شيللي على استمراره في سرد قصص غريبة عن ميتات الملوك ؟ اخبروه بان ثمة قصصا غريبة عن آجال الشعراء فكثيرون ماتوا قبل ان تحملهم امهاتهم اجنة .»

حط الرحال بروما « رجلا بغير رئتين » فآلامه لم يكن الوصف قادرا على الاحاطة بها . ولما زاره الطبيب لفحصه همس الشاعر « ترى كم ستطول حياتي بعد الموت ؟ » اما رفيقه ، جوزيف سيفرن ، فقد اختطف منه قنينة من نقيع السم ، كان الشاعر قد خبأها في اثناء السفرة ، قصد انتزاع حياته ، ان كان ذلك ضروريا ليوفر على نفسه تعاسة المرض المتطاول .

يقول سيفرن في رسالة وجهها الى الوطن بهذا الصدد « لولاي لابتلع (يعني الشاعر) جرعة وهو على ظهر السفينة .» اتهم الشاعر مرافقه سيفرن بانه ابقاه على قيد الحياة بخشونته ، ومما اشار اليه بهذا الشأن قوله : « خشونته كانتمما لا يقابلباسم ، او بمعالجة اوبحرمان». وعلى أي حال فقد كان سيفرن رجلا طيبا . اذ ما اشق ما حمله من ثقل على كتفيه حين تبرع بملازمة مسلول الى ايطاليا ! لان (الخدم) ربما كانوا يحرقون الفرش والاغطية والستائر التي قد يمكن ان تلامسه ، وبعد ذلك يأتي دور سيفرن ليدفع التعويض . ان الشيطان المسكين دفع ثمنا باهظا للاحظة شاعر على وشك الموت . آه لو انه أدرك ما يعنيه الابحار الى ايطاليا مع جثة في آخر رحلة لها . ما أشد مرارة الاقدار ! ان الشاعر يقول مخاطبا سيفرن : « حسنا يا سيفرن علينا ان نكون اقوياء ثابتين . انتستعود الى انكلترا وانا سأخلد الى الراحة في القبر الساكن .» ثم استطرد « اشكر لله هذا الهدوء ، انني اعرفه لاول مرة .»

ولما اقبل المساء تذكر بعض الابيات التي وجهها الى شعراء الماضي العظام ، في يوم صمته الوجيز ، جاء فيها : « يا شعراء العاطفة والمرح ، انكم تركتم ارواحكم على الارض ... ان لكم ارواحا في السماء ايضا ، ومن اجل هذا فقد عشتم حياة مزدوجة في اجواء جديدة ... » ثم هدات العاصفة في ذهنه كأنها رقية ساحر . واخيرا دمدم كأنه طفل ينحدر الى رقاد هنيء فقال مخاطبا سيفرن « انا اموت ... سأموت بيسر .» ولما راى عيني الفنان المغرورقتين بالرعب قال كيتس مهدئا خاطره « لا تخف بل اشكر لله حضور الموت .»

العراق — بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

غنني

غنني في غفوة الليل أغانيك الحرار
وأرح فوق خريفي هتفة فيها الثمار
هتفة في وقعها اللهّاف من قلبي ثار
هتفة أحلى من الشمس على صدر النهار
هتفة ضحاكة النبرة .. هيفاء القرار
كالنسيم الطفل خطّارا على صمت القفار
غنني واسق أمانيّ الغريرات الصغار
فتنة الصحو الذي أرخى بعينيك فثار
مشرئب السحر، هفاف الجوى، عاتي الاوار

ربة النور

طلعت فهوّم في البطاح ليل وآذن بالرواح
ومشت وفي خطواتها نغم يدف على جناح
ورمت على ربواتها ظللا مقدسة النفاح
تمشي وهالة شعرها من نسج ليلات صباح
في موضع الخطوات تنبت زهرة ويرى صباح
ويرف خصب أخضر الانفاس ريّان الطماح
علقت به مزق شحاح من مفاوزها الشحاح
فجفا ثراها الجدب واهتزت منضرة الوشاح
كم من ضياء برعمته فنام حينا واستراح
حتى اريق على البطاح فهب منطلق الرواح
ليعانق الكون الكبير ويرتمي نزق المراح

القاهرة كمال نشأت
من رابطة النهر الخالد

قـصـة لبنانيـة

ساقـط

بقلم انسي لويس الحاج

ذلـك المساء كانوا ثلاثـة شبان : واحد مبتدىء بالتجارة ، وطالب في مدرسة ، وآخر داعس على عتبة الجامعة الكبرى . وكانوا يتحادثون في كل ما يخطر لهم من حوادث اثيرة الى قضايا عائلية وعاطفية الى ما ينتظرهم غدا عندما ينزلون الى الدنيا بمسؤوليات ومهام وجبال من الهموم على المناكب .

فالاول ، عادل ، كان يقول انه سيواصل دروسه سنة اخرى فقط فينصرف الى التجارة ويعمل في شركة ما فيؤمن مستقبله ومستقبل اخويه الصغيرين ؛ فان له اخا يكبره يكاد دخله لا يفي بحاجاته الفردية ... وهو ميال الى الانكليزية لانها سهلة الادراك ، كما يقول ، معممة اكثر من سواها ، ومتداولة كثيرا في ايامنا ؛ وبكلمة ، لانها لغة تجارية من الطراز الاول . وهذا يهمه طبعا لانه متعلق بعمله .

اما الثاني ، ناجي ، فهو طالب في مقتبل العمر يهوى الكتابة بطبعه ويحلم بالشهرة الذائعة وبانتشار اسمه وتآليفه في كل صقع ... وهو حاضر البديهة ، ممشوق القامة ، غريب الاطوار ... وساله احد الاثنين عما ينوي فعله غدا ، فأجاب :

ــ هذا ما لم افكر به بعد ... ولا حاجة بي الان اليه ، فالايام طويلة بيني وبين المسؤوليات ، وهي تقلب كل شيء وتأتي كل ساعة بجديد .

انه على حق . الايام طويلة تحميه من الاعباء القاسية ، وما زال طليقا ، لا زوجة تربط رقبته بقيد ولا عيلة تحني ظهره نفقاتها ومشاكلها ... ما زال في كنف والديه ينعم بالدفء وبنسيانه مرارة الحياة .

كان الليل قد لوح بعينيه على الشفق الاحمر ، ودغدغ هدباه الشبابيك ، وكانت تمر من حين الى آخر بالنافذة عندهم في المنزل ازواج الوطاوط الشوهاء سريعة تكاد في رفيفها ان تضرب يد الرفيق الثالث ، فؤاد ، المدلاة الطويلة ... وساله عادل :

ــ وانت ، غدا نتيجة امتحانك النهائي ... ماذا في رأسك عن المستقبل ؟

ــ لا شيء ... صور محطمة ، مهشمة .

ــ كيف ! اماتنوي مواصلة علومك ؟

ــ بلى ..

ــ اذا ...؟

ــ لكن الجيوب يا عادل ، الجيوب فارغة ... ابي عنده خمسة اطفال يجب تعليمهم ... وانا الكبير . وغدا يقال ابي من عمله .. واجرة البيت ، والكسوة ، والمدرسة ، والمصروف كله ..؟ مستحيل !

ــ اذا لن تكمل ... حرام ! قالها ناجي .

ــ لا تقسُ علي ، ارجوك . اعرف أن هذا غير لائق بي . ولكن الحياة ، هي ، لا تعرف . سترى انني لن اترك الثقافة ، سادرس الفلسفة وحدي ، ثم ادرس ليسانس ....

ــ ليسانس ...؟

ــ ... في الادب

ــ هه !! وماذا تفيد ؟

ــ قد اصبح صحافيا ... أ ... اديبا . او معلما في مدرسة .

ــ وكيف قلت ان في راسك صورا محطمة عن الغد ؟ انك تعرف ما تريد وتسعى اليه .

ــ اعرف ، اجل ؛ الا ان المستقبل لا يزال فوضى في دماغي . اخاف منه . لا يستقيم في مخيلتي . لا ادعه يستقيم . احطمه كلما حاول .

ــ لماذا تخاف ؟

وحدق به ناجي وهو يسأله . حدق به بعينيه العميقتين السوداوين، يتحداه وكانما يقول له « كفى تعظيما لارائك ، تجعل من حياتك مأساة كي نجلك ، وانت فارغ مدجل ! » .

كان فؤاد يفكر بذلك . فقد فهم النظرة هكذا ، ولطالما راى هذه الشعة في عيني ناجي خلال احاديثهما ... يحسبونه ممثلا !!

– في حياتي عامل لا يخولني القيام بمسؤوليات ضخمة ... في حياتي عقدة .

– دعنا من الالغاز ! اذاً تحب الكتابة . اجل ، نعلم ذلك . ولكن هل ستظل تكتب على الرغم من توسط الحال ؟

– من الفقر ، قل ... اجل يا عادل ، ساظل اكتب .

– وتكتب ماذا ؟

– كل ما يريده قلبي ويثور به دمي .

دقيقة صمت .

ثم نظر اليه عادل واخذ يصعد بنظره من راس فؤاد الى قدميه مدهوشا ، وقال :

– اما تاكل ؟

– قليلا ، لماذا ؟

– اراك نحيلا جدا يا صاحبي . كل جيدا ولا تسهر . اما يقول لك والدك شيئا عن كتاباتك ؟

– ينهاني . واعرف انه على حق .

– اذاً لا تشغل فكرك بعد الان بالكتابة . ما زلت فتى . وانت كما تقول ، مقدم على خوض الحياة . امامكذووك ، ولاعانتهم تلزمك العافية والبدن الصحيح . لا ترهق جسمك كثيرا ... انا ابتدات مثلك اكتب ، ثم رايت ان ذلك يلهيني عن دروسي ، فخليت القلم ... هذا اجدى ... خصوصا في مثل حالك .

– انت حقا قوي ! اقولها لك صادقا ، فاما ان تكون مغرما بالحرف عابرا ، واما ان تكون جبار الارادة الى هذا الحد ، تدفع ما لا يجديك نفعا ، ولو آلمك ذلك ، وتنظر الى الحياة واقعيا غير هياب .

– لا بل انا الثاني . وسترى اني متى مكنت اشغالي وصار لي معاش عال ساعود اكتب وانشرواهوى القلم .

– احسدك !

– على مَ ؟

لانك تقدر ان تتخلص منها .

– منها ... ؟

– الكلمة ....

– وانت يا فؤاد .. انت تستطيع ايضا ! جرب ...

– لا يا اخي . ما اكتبه يعيش في عروقي ، يسهر معي الليالي ، وياكل خبزي القليل الناشف ... انا محشش .

– اوهام !

– انا محشش ، اقول لك . الادب في دمي كريات بيضاء تاكل الحياة مني لانير ... انه افيون في انفي .. بغي ساحرة على ركبتي .. اعبدها . تستنزف مني حمرةالخدين وتعطيني حمى ترتجف في اعصاب الحروف ، على اوراقي .

كانت عروق رقبته تنتفخ وعيناه تلمعان ببريق جنون والحمرة تعلو شفتيه الشهائين .. كان يرتجف .. وكان يخيل لصديقيه ان الشعر في راسه ايضا يرتجف ...

– اذا مر يوم وما كتبتُ ، اختنق .. انا لست مغرورا ، لا ، اعلما ذلك . لكنني عاشق من دمي ... وعشق الحرف مميت ، للذين يفهمون الحرف نورا في الطريق .

وقال ناجي :

– معك حق . وهذا ما اشعر به انا احيانا . كأن فيَّ شيئا يجب افراغه ، والا ضاق صدري .

واعقب عادل باهتمام :

– لكن يا فؤاد ، صحتك لا يجوز اهمالها ... اهو من دواعي الكتابة ايضا ان يهد الانسان بدنه ... ؟

– انا ادفع ثمن الكلمة ...

كانت الوطاوط ما تزال تلعب امام نافذة الثلاثة ، وعلى الشرف المجاورة اناس يضحكون وياكلون بزرا ويتكلمون على الناس ...

– احب الوطاوط .

وسها فؤاد دقائقثم نظر الىرفيقيه فرآهما مطرقين :

– بماذا تفكران ؟

– بالشوك ، قال ناجي .

وقال عادل :

– بالمستقبل ... دعنا نذهب الان يا فؤاد ، فلعل لديك عملا نلهيك عنه .

– ... الى لقاء ...

* * *

يطلع الصباح على الناس بافراح واعياد وبهجات ، والصباح في منزل فؤاد لم يطلع ذاك النهار بالضوء : كان تعبا ، منهوكا ، مريضا .. والصباح ذلك ، لم يكن في قبضته خير ولا في فمه ضحكة ... كان عابسا ، يحمل باليد مخرزا لئيما وباليد الاخرى اغلالا من حديد .

ومشى الى قلب فؤاد في سريره الضيق ، يحمل له شؤما ، يقول له ، « رسبت في الامتحان...ساقط !»

« ساقط ... ساقط ... »

لا ، بل الساقطون من يخفقون مع نفوسهم ، في العراك مع نفوسهم ، يحاولون قهر العوسجة فيها ، ويرتدون مقهورين ...

« ساقط ... ساقط ... »

لا ! لا ، لست ساقطا ! اقول لكم في قلبي جمال عظيم ينتصر ، اناقوي قوي كشمشون ، دعوني اشرح ...

« عيب ... يا ذلك .! »

اوغاد ! هذه الحكاية ، من قصها ؟ تضحكون من انفسكم ، ومن الناس ايضا ، وتجعلون من الابله منارة ، وتقولون من لا يهتدي به ساقطا يكون ومخذولا وناقصا .!

« لا تثر ... انتهى كل شيء ... ماذا سنقول لاصحابك ... لعادل ، وناجي، ورياض؟ كيف ستقف امامها، هذي التي تعشقها بصمت ، وتقول لها في اوراقك الصفراء ، يا كافرة.!؟ وامك ... ابوك الطيب الحزين ... اخوتك الصغار الذين كانوا البارحة يرنمون انشودة فوزك .؟ انتهى كل شيء .. كل شيء .. »

.. ومضى الصباح في ذلك اليوم وكان واحد من الناس يهون في عيون الناس .. ويسقط !

* * *

واغتصب بسمة :
– ما زلت تهزل ؟
– كما ترى يا عادل ... كيف العمل ؟
– ماش . لكن انت لا تعجبني .. صحتك ؟
– رميتها .
– مجنون !! و ... والكتابة
– ...
– اعذرني .. تطفلت ربما ..
– كلا ، لكنني .. حسبتك تقرأ لي هنا وهناك .
– لست أقرأ المجلات . ماذا تشرب .. ؟
– ماء .
– كيف ناجي ، اتراه ؟
– دائما .. احب ان ازوره فهو ينسيني نوعا ما همومي ويرفه عني . ثم هناك اشياء لا استطيع شرحها لك ...
– طيب ، لكن ، اما تحيد في النهاية عن طريق الادب وتخلصنا من هذه الهيئة المريبة ؟ انت شبح يا فؤاد ، شبح اتسمعني ..؟ واراهن ايضا انك لا تشغل منصبا وانك «تتعتر».
– انني صحافي .
– من الدلفة الى تحت المزراب .. محتقر ، مزدرى به ، وفوق ذلك معاش مخجل وسهر الى الفجر وتعب يقتل الحمير . لو لم تسقط في امتحانك النهائي !

كان ذلك كوقع القنبلة في اذنيه . بالامس كان ضميره يوجعه بوخزه « ساقط .. ساقط » ، ثم كان ذووه ، وكلام الجيران ، واهل القرية ، ورفاق المدرسة ، وبائع الخضار ... وهذا آخر يبصق اللعنة في وجهه : « ساقط ! »
– سلم يا فؤاد .
ولم يسلم فؤاد على احد . كل ما فعله ذلك النهار انه انزوى في غرفته يأكل سويداءه ويتصبب العرق باردا من جبينه . ماذا يفعل ؟ سنة مضت وهو على هذه الحال : يكتب ويطوي وينشر ولا يتكلم .. ويهزل ويشحب ويحب من بعيد حبه الجارف العميق الخائف .. اما اهله ، فكل يوم معه في خناقة ، يرجعون منها خائبين . فهو مصمم . هكذا يريد وهكذا سيفعل .

– سأعيش فقيرا ، قال لوالده . سآكل حروفي واشرب عرقي ... ولتاكلني القذارة فانا راض .

لكن اليوم موقفه حرج . في راسه افكار غريبة اليمة .. سيذهب الى ناجي ، بيته قريب ..
– ماذا عندك يا فؤاد ؟
– لا شيء . وانت ؟
– صفحة كتبتها عشية امس .
– هات اقرئني .
اجل هنا يلتذ احيانا لتقويم عوج صديقه وارشاده وهنا يفضي باشياء من قلبه فيستريح .
– أتعرف ؟
– ماذا ؟
– انني اهمل دروسي ولا اهتم الا بالادب ، وسوف أرسب في صفّي .
– ناجي ! اياك وهذا !
– ماذا اصنع يا اخي ! انت ادرى بحالتي ... انه الافيون .
– احترس يا ناجي . انا قضي امري . لكن انت ما تزال مرنا .. تقويمك ممكن . اقول لك احترس ..
– احاول .. لكنني ضعيف ، أضعف منك .

وتراءى لفؤاد في تلك اللحظة شيء غريب فعصر رأسه بيديه واحناه وهو يهمس بصوت لا يسمع : « جبان ! تظن انك عظيم وانك هاد بحرفك وانك انسان متفوق ... دجال أنت ، وانا . وجبناء نحن الذين يكتبون في الليل .. نحن الذين يسترون عجزهم بسراب نسجته عقول مهترئة مهلهلة مدودة ، ويتدثرون ببيوت العناكب يلفونها حولهم لتقيهم الاضواء والجلبة . نحن بوم ، بوم يحب الليل ولا يقدر على المشي في النهار خائفا من حقيقة النور ... من صراحة الشمس وقوة الحياة !!! »

هراء ! هراء ! لا ، ليس هذا بصحيح انه يكذب على نفسه . فهو يؤمن برسالته . يعرف انها هداية عن حق ، وانها كمال وبركة . ومنذ لحظة كان يهذي ، ليس الا ...

والحياة .. الجامعة الفسيحة الكبرى التي دعسها فؤاد فتى ، وكان في عشية وقوفه على عتبتها يسقط وينحدر في غفول اخوانه ، الحياة التي بصقته على هامشها ، أرته ان ما نذر له كيانه ما هو بتدجيل .. وانه شيء مقدس وعظيم ، أعظم ما في الحياة ، واعمق !

* * *

وانقضت سنوات . وصبيحة يوم ، قرع الجرس في قبة المدرسة الكبرى فاضاءت الجوانب ودبت الحركة في كل شيء واتى كل واحد يشغل مقعده ، في صفه ..

في ذلك الصباح ، عند قرع الاجراس ، وصعود الشمس منتصرة ... تغيب عن احد البنوك طالب كبير ...
وما عاد في يوم ...

... وكان ان ارتفع الستار ، ذات نهار ، عن واحد اغتنى من البيع والشراء من كل نوع ، حتى الكرامة .. وانتفخ بطنه وانتفش وتهدل ..

وواحد ، صار تراباً في مقبرة القرية ، فؤاد ... وعينه على حروفه .. ما تزال ترف ..

وثالث ، في الطريق الشائك الملتهب بالنار ، الصاخب ، يعب من جبينه العرق ويستقي ...

ورجل له في سوق الحياة ضائعة ... واخرى في مقبرة القرية .. تحفر ..

أنسي لويس الحاج

وقيت يا طيفها

لحسن فتح الباب

القاهرة

طيف تهادى على فؤادي كخفقة الطل في البكور
يسني الدياجير من سهادي بلمحه الوادع القرير

عيناه اشراقة الاله من شرف الغيب في السماء
والسحر نشوان في الشفاه كالظل يحنو على الضياء

وبسمة الطهر والبهاء رفت على زهرة الشباب
كنجمة الفجر في الفضاء وسنى على قمة الروابي

تهيم في أفق ذكرياتي على شعاع من الحنان
وفي دجى الليل من حياتي على شراع من الاماني

نبع من الحسن في ظلال من الهوى خافق الشعاع
يأسو الذي جرحت ليال في امسي الضارع المضاع

أسرى على صفحة الضياء من موجه الهامس الطروب
لحن من السحر والصفاء يحدو منى العاشق الكئيب

في لوعة الفكر والعذاب وحيرة الروح ، والهوان
يجد ما غاله اغترابي من الصبا في يد الزمان

ان شرق الروح بالدموع وجدا على فرحه الذهيب
أطل كالطائر المروع يشد من عزمي السليب

وان جرت شرعة الفراق بالشجو والسهد والانين
فقد جرى النور في المآقي منه وقد سال بالحنين

وطاف في معبد الضلوع بالروح والصفو والسلام
وهام في روضة الولوع ريان من جدول الغرام

يا طيفها المسعد الجميلا كم نعم الحب في ظلالك
والقلب ان فارق الخليلا فحسبه الوصل من خيالك

هيهات يخبو سنا الجمال على جبين من السناء
وحسنك المفرد المثال هيهات يحبو الى الشقاء

أنت سلوى من الكروب ومسبح الفكر في الوجود
في وجهك الفاتن الحبيب مباهج العيش والخلود

وأنت جنات ملهمينا وآية النور واليقين
وفيك آهات عاشقينا وهزة الروح بالحنين

وقيت يا طيفها الوفيا غوائل اليأس والعناء
ولم يزل باهرا نقيا شعاعك العاطر الرجاء

على ضفاف الراين

عن الشاعرة الانجليزية « مس نورتون »



كان الجندي الجريح في ساعة احتضاره ، ولم يكن من يعتني به سوى رفيق له ، وقف الى جانبه • كان الدم ينبثق من جراحات المحتضر غزيرا صافيا • انحنى الرفيق ، وراح يرمق زميله بنظرات ملؤها الرحمة والاشفاق ، عله يتفوه بشيء ••

تململ الجندي المحتضر في مكانه ، ثم أمسك بيد رفيقه، وقال له : « سوف لا أرى أرض وطني الحبيبة بعد اليوم • أنا واثق من ذلك ، فخذ عني هذه الرسالة ، علك تبلغها الى اصدقائي البعيدين •• لانني كنتُ قد ولدتُ في (بنجن) ، على ضفاف الراين ••

« أعلم اخوتي ورفقائي ـ عندما يجتمعون كي يستمعوا الى قصتي المفجعة ، في معارش الكروم ـ

« أعلم اخوتي ورفقائي ـ عندما يجتمعون كي

كانت الاشلاء الشاحبة تغطي أرض الميدان ، حيث غمرتها أشعة الشمس الغاربة••• أعلمهم ان ضمن القتلى مَن عمَّر في الحرب طويلا ، وضمنهم من كان لا يزال شابا ناضر العود ، فلم يلبث ان رأى ـ فجأة ـ صباح حياته قد سار الى مساء ، وكان أحدهم قد أتى من بنجن ـ بنجن الجميلة ، على ضفاف الراين •••

« أخبر أمي ، أنها ستجد لها عزاء في ابنائها الآخرين •• في شيخوختها الطاهرة •• وانني كنتُ على الدوام عصفورا شاردا ظن ان بيته قفص يحبسه •• لان أبي كان جنديا ـ وكابن له ، كان قلبي يكاد يقفز من صدري عندما كنت أسمعه يردد أحاديث مآثره في باحات الوغى •• وعندما لقي وجه ربه ، ترك لنا ارثا عظيما لنقتسمه فيما بيننا •• لكنني تركت كل شيء ليأخذوه ، واكتفيت بسيف والدي ـ ذلك السيف الذي علقته على حائط الكوخ في بنجن ـ مزهوا به فخورا بالتماع معدنه كلما انعكست عليه أشعة من نور ـ في بنجن ـ بنجن الهادئة ، على ضفاف الراين ••

« قل لاختي الحبيبة الا تذرف الدمع من اجلي ـ وألا تنخرط في البكاء مطأطئة الرأس عندما تعود الكتائب الى أرض الوطن شامخة الرأس مزهوة ببخار النصر ـ وتنظر فلا تراني مع الجنود • أخبرها ان ترفع رأسها عاليا ، وتنظر بعين ثابتة هادئة •• لان أخاها كان جنديا كذلك ، ولم يخشَ الموت• واذا ما لمحها زميل لي واحبها فانني أرجوها ان تصغي اليه بعطف ، دون ندم او خجل ، ولتعلق السيف القديم في مكانه الاول لاجل شرف بنجن ـ بنجن العتيدة ، على ضفاف الراين •

» وهناك اخرى ، لا ، انها ليست اختا لي ـ ستعرفها أنت في الايام السعيدة القادمة من امارات المرح التي تشع من عينيها •• انها بريئة ، عفةّ الجلباب ، شغوفة باحتقار الخامل ـ يا صديقي : صف لها آخر ليلة من ليالي حياتي (لانني قبل ان ينطلق القمر مشرقا في قبة السماء ، سيخلو جسمي من الالم ، وستحوِّم روحي خارج سجنها طليقة) •• لقد حلمت الليلة انني جلست واياها ، ورأيت اشعة الشمس الذهبية تترامى في معارش الكروم على تلال بنجن ـ بنجن الساحرة ، على ضفاف الراين ••

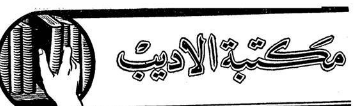
« •• ولقد رأيت الراين ـ نهر الراين الازرق ـ في منامي ينساب عبر التلال ، وسمعتُ ـ أو خيِّل الي انني سمعت ـ الاغاني الالمانية التي طالما رددناها سويا ـ واضحة جلية •• وفي قيعان النهر الجذل ، وفوق التلال المنحدرة ، كنا نتمشى في هدوء المساء الجميل •• وكانت تنظر الي بعينيها الزرقاوين المرحتين ، عندما كنا نمر عبر الدروب القديمة العديدة ، حيث كانت يدها الصغيرة تمسك بيدي •• ولكننا ـ سوف لا نعود الى لقاء في بنجن ـ بنجن الحبيبة ، على ضفاف الراين •••»

وبدأ صوته يخفت قليلا قليلا •• وبدأت قبضته تخفف الضغط عن ذراع رفيقه • وجللت نظرة النزع عينيه •• ثم تنهد ، وتوقف عن الكلام •• وانحنى عليه رفيقه ليرفعه •• لكن شرارة الحياة كانت قد انطفأت ، وكان جندي الكتيبة قد مات •• في أرض الغربة !

وارتفع القمر بطيئا في أجواز السماء ، ثم نظر من علٍ الى الرمال الحمراء في أرض الميدان ، حيث الجثث المنتشرة • نعم ! نظر القمر خاشعا الى ذلك المنظر الهائل ، ثم أرسل شعاعه الشاحب الهزيل هنالك ••

•• كما ارسل شعاعه على بنجن ـ بنجن الساحرة ، على ضفاف الراين !

القدس — **أحمد صالح الطيب**



كتب جديدة في المكتبة العربية :

بين يدي الان مجموعة طيبة من المؤلفات الجديدة التي أخرجتها المطابع العربية اخيرا في لبنان وسوريا ومصر والبرازيل ، وجميعها تستحق التقديم الى القارىء العربي ، لانها جميعا من الكتب التي تستحق ان يبذل فيها القارىء جزءا من وقته الثمين لمطالعتها . وسنتناول هذه الكتب في ما يلي بالتعريف القصير الذي لا يتسع المجال لاكثر منه .

١ ـ هتاف الاودية

لامين الريحاني ـ ١٥٠ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت

في هذا الكتاب ، ذي الصفحات المئة والخمسين من القطع المتوسط ، جمع الاستاذ البرت الريحاني من القصائد المنثورة التي كانت منبثة في مؤلفات أخيه المرحوم امين الريحاني المطبوعة والمخطوطة ، ولا سيما (الريحانيات) ، ثماني وعشرين قطعة ؛ فيها الوصف ، والنجوى ، والتأمل ؛ وفيها الحب العميق للطبيعة ، والانسانية الرحيمة غير المحدودة، وحب الثورة والحرية، وتمجيد الابطال والبطولة. فيها كل ذلك وغير ذلك من المواضيع التي كان يكتب فيها قلم الريحاني الاديب .

ولعل الريحاني اول من مارس قلمه الشعر المنثور بين ادباء العربية ؛ فقد أعجب بالشاعر الاميركي الشهير وولت ويتمان وطريقته في تحرير الشعر الاميركي من الاوزان والقوافي ، فأراد ان يفعل مثل ذلك في العربية ، فعمد الى ارسال هذه القطع الوجدانية والهمسات الحارة في اوقات وظروف متفرقة ، وبثها في عدد من مؤلفاته ، حتى جاء أخوه البرت يجمعها في هذا الكتاب ، مختارا له عنوان احدى هذه القصائد المنثورة ، وهو (هتاف الاودية) .

والبرت الريحاني وفي كل الوفاء لاخيه ولذكرى أخيه ، ولآثار اخيه ؛ وهو حريص كل الحرص على ان يتم رسالته الادبية والقومية العربية بحفظ آثاره ، واعادة طبع مؤلفاته . وقد اعاد الى اليوم طبع عدد كبير منها ، وحرص على ان تكون طباعتها كلها انيقة متقنة ، تليق بجلال الرسالة التي تحملها . وهو يعتبر هذا العمل في رأس اعماله كصاحب مطبعة وناشر .

والذي يزور منزل البرت الريحاني في قرية الفريكة الصغيرة الجميلة ، التي يقف امامها صنين شامخا بقامته الجبارة الى الجو ، وينساب من تحت اقدامها وادي الفريكة العميق الساحر ، سائرا بصمت وسكينة الى البحر الازرق الواسع القريب منها ، وتترامى فوقها بيوت القرميد الجميلة في بيت شباب وبكفيا وضهور الشوير ؛ يجد ان البرت الريحاني الذي حرص على ان يسمى ابنه البكر « أمينا » تخليدا لذكرى اخيه فيلسوف الفريكه ، قد حرص كذلك على ان يخصص غرفة من بيته لجميع مخلفات اخيه ، من ملابس وتحف ، وادوات ، وجوازات سفر ، ورسائل وهدايا تلقاها من ملوك العرب وامرائهم في مختلف الاقطار العربية التي زارها واتصل بملوكها وسادتها . وعلى الشرفة الخضراء الجميلة امام باب المتحف وضع ابو امين بلاطة كبيرة رخامية كان المرحوم امين يقف عليها ليناجي خالقه بصلاته المشهورة (النجوى) وهو متجه نحو صنين . اما مكتبة الامين فقد خصص لها مكانا طيبا في صدر قاعة الجلوس ، ووزع آثاره الاخرى العزيزة في بعض غرف الدار الاخرى .

واحب الحديث الى ابي امين هو الحديث عن اخيه المرحوم ، وعن آثاره وحياته ؛ وذلك وفاء يندر وجوده ، وتقدير البرت لامين ، ليس كأخ حبيب فقط ، بل كانسان ذي رسالة عظيمة اداها الى قومه على خير ما استطاع . والبرت بنشره لآثار اخيه انما يتابع خطاه في حمل تلك الرسالة ، التي ما زالت الامة العربية في حاجة اليها اليوم كما كانت في حاجة اليها في حياة امين . ولم تكن رسالة امين الريحاني سوى رسالة العروبة ، والوحدة العربية ، والعزة العربية .

٢ ـ بين البقاء والفناء

لقدري حافظ طوقان ـ سلسلة « اقرأ » ـ دار المعارف بمصر

حينما يتحدث الاستاذ قدري طوقان في موضوع الذرة ، فهو يقدم ابحاثا نظرية مجردة في الاساليب والنظريات العلمية التي استطاعت ان تفضي الى اكتشاف الذرة وتحطيمها . وليس معنى هذا انه قد وضع يده على طريقة السيطرة عليها ، وعلى اسرار استخدامها في التدمير والافناء ، أو في التعمير والاحياء . وهو في كتابه هذا الذي

ظهر اخيرا في سلسلة (اقرأ) لا يحاول أن يوهم القارىءانه ممن يعرفون اسرارها ودقائقها ، ولكنه يكتب لغرض آخر انساني ؛ فهو يبيّن الاخطار الجسيمة الهائلة التي تتعرض لها الانسانية باستعمال الذرة والهيدروجين في الفتـــك والتدمير ، والمنافع العظيمة التي تفيد في تقدم الانسانية وازدهارها باستعمالهما في خدمة السلام والتعمير .

انه في هذا الكتاب يدافع بحرارة ــ كعادته دائما ــ عن الاساليب العلمية ، ويدعو الى وجوب التـزود بهـا ، والايمان بأثرها في التقدم والاختراع ، والى اعداد النفس والعقل لتحقيق رسالة الحياة واعلاء كلمة الحق والخير .

وهو يؤمن اعمق الايمان بان « لا خلاص للعرب الا عـلـى اساس امتزاج الحياة بالعلم ، ولا كيان لهم الا اذا سايروا الحضارة في ركبها ، وشاركوا في الارتقاء الانساني مشاركة فعالة تقوم على تسخير جهودهم وقواهـم وقابلياتهـم وامكانياتهم في تحقيق العدل الاجتماعي ، وفي ميـــدان الانتاج الشامل والخير المشترك » .

لقد بحث الاستاذ طوقان في تطورات الابحاث الذرية في فصول متعددة من كتابه ، ولكن هذه الفصول لم تكن سوى وسيلة الى الغاية التي يريدها المؤلف . وهذه الغاية ذات شقين: الشق الاول هو حث الدول العربية على « توجيه اهتمامها وجهودها الى العلم ونشر التعليم واذاعة الروح العلمية ، فخلاصها يقوم على ذلك » ، وتبيان ما لـدى العرب مـن « امكانيات واسعة عريضة توجب عليهم ان يتجهوا بعقولهم وتفكيرهم وجهودهم الى العلم وتطبيقاتـــه » ، والى ان « استغلال هذه الامكانيات من حق العرب ، وعليهـم ان يستفيدوا منها وان يستغلوها في تعمير بلادهم وتقدمها » .

والشق الثاني هو الدعوة الى وقوف علماء العالم في وجه الدول الرامية الى استخدام الذرة في تدمير الكون ؛ وان « لا يكتفوا بالامل والمحاضرات والتخدير والانذار تجاه الاخطار التي تهدد العالم من الاسلحة الذرية والهيدروجينية ، وان يتجهوا في اداء رسالة الحياة والعلم الى عمل ايجابي ، للمطالبة بايقاف العمل في صنع الاسلحة التدميرية ، وتوجيه الطاقة الذرية في البناء والخير ، وفي الاغراض الصناعية والانتاجية ، وان يهددوا الحكومات ذوات الشـــأن الاول بالاضراب عـــن الاشتغال فـي مصانع الاسلحـة الذريـة والهيدروجينية » .

وظاهر من هذا ان الكتاب ليس سوى صوت يطلقــه الاستاذ طوقان في تحذير العرب ودعوتهـم الى التسلـح بالعلم ، وفي تحذير الدول الكبرى مما تتنافس فيه من وسائل التدمير التي قد تقضي على البشرية والحضارة ؛ ودعوة يعزز بها السلام والحرية والامان في العالم المرتجف امام الاختراعات الجهنمية المهلكة التي تهدد حياته .

٣ ــ ١٠ نفوس قـلقـة

لثريا ملحس ــ ١٨٨ صفحة ــ مع ١٠ لوحات فنية ــ منشورات المؤسسة الاهلية بيروت

لاول مرة تتحدث ثريا ملحس الى القراء بالاسلوب الـذي يفهمه القراء ، فلا تكتب لنفسها ولترضي نزعتها الرمزية الملفعة بالغموض والضباب وتزاويق الالفاظ ، كمـا كان في كتابيها السابقين (النشيد التائه) و (قربان) .

وهي في كتابتها هذه المرة انيسة العبارة ، شاعرتها ؛ تستهوي القارىء الى الاستمرار في المطالعة الى ان يأتي على صفحات الكتاب كلها ، وهو يتنقل مع المؤلفة في دنياوات صغيرة جميلة من الفن والجمال والابداع .

في هذا الكتاب تقدم ثريا ملحس عشـرة رسـامـين عالميين ، وتختار لكل منهم منظرا من رسومه المشهورة ، وتبرز في حديثها كيف كانت حيواتهم تضطرب بين الفشل والنجاح ، بين الامل والخيبة ، ولكن ذلك لم يمنعهم من ان يبدعوا في تأدية رسالة الفن التي تمتلىء بها نفوسهم ، وان يعرف الناس بعدئذ قيمة ابداعهم ورسالاتهم الفنية .

وهؤلاء الفنانون العشرة الذين تقدمهم ثريا في كتابها الجديد هم : (جوزف تيرنر ــ جان ميليه ــ جان كورو ــ فنسنت فان غوخ ــ جيمس وسلر ــ بول سيزان ــ ونسلو هومير ــ هنري روسو ــ اوغست رودان ــ هنري ماتيس)

ولقد ارادت ان تبين الميزة التي تكاد تجمع بين آثار كل واحد منهم ، بحيث يمكن ان تكون صنعة عامة لفنه ، ولونا عاما ينتظم رسومه ، فقرنت الى كل منهم صفتـــه الجامعة هذه ، وهي كما يلي :

(تيرنر ــ في العاصفة ــ ؛ ميليه ــ في التراب ــ ؛ كورو ــ في المناظر ــ ؛ فان غوخ ــ في الشمس ــ ؛ وسلر ــ في الليل ــ ؛ سيزان ــ في الزهور ــ ؛ ــ هومير ــ في البحر ــ ؛ روسو ــ في الشجر ــ ؛ رودان ــ في جسد الانسان ــ ؛ ماتيس ــ في الالوان ــ) .

وليس من الضروري ان لا يخرج كل انتاج الواحد من هؤلاء الفنانين العالميين عن الصفة الجامعة التي وضعتــه المؤلفة في اطارها ، الا ان ذلك يعني انه كان يحب هـــذا الاتجاه وكان يبدع فيه ؛ وان الذين يقدرون فنه انما يقدرون فيه على الاكثر هذا الاتجاه ، او هذه الصفة الغالبة المحببة اليه .

والحقيقة ان ثريا قد نجحت في كتابها هذا في ان تعقد صلة طيبة بين هؤلاء الفنانين العالميين ــ او النفوس القلقة في الطبيعة ــ وبين قرائها ، باسلوبها الشعري الرقيق ، الذي لا يقترب في شيء من اسلوب البحث ، بل يعتمد على اللمسات الشعرية الناعمة ، التي تكاد تكون اطارا جميلا يضم تلك النفوس القلقة المبدعة . ولقد افلحت اكثر من ذلك في ان تقترب هي نفسها بقلمها من نفس القارىء العربي

وعقله ؛ فلن يخرج القارىء من كتابها هذا ــ كما كان يخرج في السابق ــ وهو يقلب كفيه ويتساءل بحيرة واستغراب : « ماذا قالت المؤلفة ؟ وعمَّ ارادت ان تعبر » ؟

٤ ــ ديوان فرحات

للشاعر المهجري الياس فرحات ــ ٤ اجزاء هي : الربيع ــ الصيف ــ الخريف ــ رباعيات فرحات ــ طبع البرازيل

كـان للشاعر المهجري العربي الياس فرحات قبل اليوم ثلاثة كتب شعرية مطبوعة ، هي : (الرباعيات) ــ وقد نشرت عام ١٩٢٥ في البرازيل في كتاب صغير الحجم جدا ــ و (ديوان فرحات) وقد جمع عددا كبيرا من قصائد الشاعر التي نظمها ما بين عامي ١٩١٨ و١٩٣٢ ، ونشر عام ١٩٣٢ ــ و (احلام الراعي) وفيه ست قصائد طوال ، وقد نشر على نفقة مجلة « الشرق » العربية في البرازيل عام ١٩٥٣ .

ولم تكن هذه الكتب الثلاثة تجمع كل شعر فرحات ، فقد كان لا يزال لديه الكثير الذي يحتاج الى ديوان يضمه ؛ وكان يود لو يستطيع ان يعيد طبع دواوينه مرة اخرى ، ويضع لها عناوين غير التي كانت تحملها . وقد اعرب عن امنيته هذه في مذكراته المخطوطة ، التي نشرت منها اربعة فصول فقط في مجلة (القلم الجديد) المحتجبة . ولقد جاء في الفقرة الاخيرة من الفصل الرابع الذي نشر من هذه المذكرات في عدد المهجر الخاص من (القلم الجديد) ما يـلي :

[في سنة ١٩٣٢ تألفت لجنة من ادباء سان باولو لطبع (ديوان فرحات) وكنـت اريـد طبعه في جزأين ، فأبت علي اللجنة ذلك . على انني لم ازل على نيتي الاولى ، اذ سأعيد طبعه ــ اذا قدر لي ذلك ــ في جزأين ، اسمي احدهما (الربيع) ، والثاني (الصيف) وسأطبع جزءا ثالثا مما اجتمع لدي بعد طبع الديوان واسميه (الخريف) ، واترك طبع (الشتاء) الى الوراث] .

ولقد كتب فرحات مذكراته هذه عام ١٩٤٧ ، وفي عام ١٩٥٤ قدر له ان يحقق هذه الامنية ؛ فقد تنادى ادباء العرب في البرازيل الى تكريم هذا الشاعر العربي القومي الفذ ، كما كرموا زميله الشاعر القروي ، تقديرا لاخلاصهما القومي ، ولشاعريتهما التي وقفاها طوال عمرهما عـلى امتهما العربية . وكما كان تكريمهم للقروي بتقديم المال اللازم لطبع شعره في ديوان واحد ، كان تكريمهم لفرحات ايضا بتيسير المال اللازم لاعادة طبع شعره كله كذلك . وقد اختار فرحات ان يجيء شعره في اربعة كتب متفرقة ــ بعكس ما فعل القروي اذ جمع شعره كله في كتاب واحد ــ فكان احد هذه الكتب الاربعة للرباعيات ، والثلاثة الباقية لتحقيق امنيته السابقة باخراج (الربيـع ، والصيـف ، والخريف) . وقد جاء مجموع صفحات هذه الكتب الثلاثة الاخيرة وحدها اكثر من (٨٥٠) صفحة من القطع المتوسط ، وكلها مطبوعة طباعة انيقة متقنة .

ويلاحظ من يعرف فرحات وشعره انه قبل الاقدام على طبع هذه الدواوين قد غربل قصائده ، فلم ينشرها جميعا في (الخريف) ، بل اختار منها ما يعتقد هو نفسه انه اجود ما نظمه بعد عام ١٩٣٢ ؛ ولو شاء طبع جميع قصائده في هذه الفترة لاحتاج الى جزء آخر على الاقل .

واما الرباعيات فقد اضاف اليها اشياء جديدة ، وقدم بعضها او اخره عما كان في الطبعة الاولى ؛ وبدلا مـن المقدمة الواحدة اصبح للطبعة الجديدة مقدمتان ، الجديدة منهما للاستاذ حبيب مسعود ، رئيس تحرير مجلة (العصبة) المحتجبة ، وهو من ابرز ادباء المهجر الجنوبي ، وكانت الاولى للاستاذ توفيق ضعون .

ولست الآن في سبيل ان اتحدث على فرحات وشعره ووطنيته ، وهو قطب من اقطاب الشعر العربي والقومية العربية ، والحديث العابر عنه لا يفيه شيئا من حقه ، ولا يبين شيئا من مزايا شاعريته . ولذلك فضلت الحديث عليه في كتاب مستقل ، ارجو ان تعينني الايام على اخراجه ، تقديرا لفضل الشاعر العربي الكبير .

٥ ــ في طريق الميثولوجيا عند العرب

لمحمود سليم الحوت ــ ٣١٧ صفحة ــ حجم كبير ــ مطبعة دار الكتب بيروت

هـذا الكتاب الضخم هو ثمرة مجهود كبير جدا ، انفقه الاستاذ الشاعر محمود سليم الحوت في التنقيب وتقليب الكتب الصفراء والبيضاء ، الضخم منها والصغير ، ذي الاجزاء المتعددة وذي الجزء الواحد ؛ واراد ان يثبت به ان للعرب الجاهليين اساطير كما لغيرهم من الامم ، وان في هذه الاساطير والمعتقدات البدائية الشيء الكثير مـن جمال الطفولة العقلية ، وانها تستحق ان تكون مادة للاقلام العربية ، تتغذى منها وتبدع ــ وقد تغذى منها فعلا قلم الشاعر شفيق المعلوف وابدع في مطولته « عبقر » ــ ، كما كانت الاساطير اليونانية ــ بشكل خاص ــ ولا تزال ، مادة للاقلام الغربية ، تتغذى منها وتبدع في ما تحوكه عليها من فنون الشعر والنثر . وهو مجهود يدخل في باب الدراسة العلمية ، كما يدخل في باب العمـل القومـي ، والحرص على اثبات مساواة الامة العربية لسواها من امم العالم الراقية ، سواء في عهد طفولتها العقلية ، وحياتهـا البدائية ، او في عهد ازدهارها وحضارتها وسلطانها .

ويظهر لنا هذا الحرص القومي في تعليقات كثيرة منبثة في صفحات الكتاب ونكتفي منها بنموذج واحد من الصفحة

(١٠٢) ؛ اذ قال المؤلف معلقا على عبادة العرب للشعرى ، واسطورة الشعريين واخيهما سهيل : « فهل يختلف ذلك عما كانوا يزعمون من اساطير الميثولوجيا عن اليونان وغيرهم ، وعما كان يقع بين آلهتهم من حوادث البشر ، امثال الزواج والحروب ؟ فالعرب اذن قد شخصت الاجرام السماوية ، وانزلتها منزلة البشر ، كما الهوها وعبدوها ، وان ضاعت اخبارها كما ضاع الكثير من آثار حياتهم الجاهلية لعـــدم تدوينها وحفظها للاجيال » .

والموضوع الذي يخوضه الاستاذ الحوت في كتابه هذا ذي الصفحات الثلاثمئة والست عشرة ، من القطـع الكبير ، هو موضوع عظيم الصعوبة ، يحتاج الى جلد عظيم، وجهد كبير ، وصبر على مشقة المطالعة في مختلف الكتب والمصادر ، على قلة غناء اكثرها ؛ فهو موضوع مهمل الـى ابعد حدود الاهمال ، وقد اساء اليه العرب القدامى كثيرا بعدم اهتمامهم بتدوينه ، وان كان بعضهم قد دون شيئا منه في بعض الكتب فقد جاء تدوينه في الغالب عرضا ، او في معرض السخرية او التظرف . ولولا كتابان فقط اوليا هذه الناحية شيئا من الاهتمام ــ «الاصنام» للكلبي ، وهو خاص بالآلهة العربية ؛ و « آكام المرجان في احكام الجان » للشبلي ، وهو خاص بالجن ــ لجاز لنا ان نقول ان موضوع الاساطير والمعتقدات العربية الجاهلية لم يبذل من قبل في تدوينه اي جهد حقيقي لتعريفه الى الاجيال .

حتى المستشرقون الذين اهتموا بكل صغيرة وكبيرة من شؤون الفكر العربي والثقافة العربية ، والحضارة العربية والاسلامية ، لم يستطيعوا ان يصلوا من الاساطير والمعتقدات العربية قبل الاسلام الى شيء ذي غناء ، وهكذا ظلت الفكرة السائدة ان العرب امة ضئيلة الحظ جدا مـــن الاسطورة .

متى عرفنا هذا كله استطعنا ان نلمس مقدار الجهد الذي بذله محمود الحوت حتى استطاع ان يؤلف هـــذا السفر النفيس الضخم ، الذي لم يسبقه الى مثله مؤلف اخر ، غير الشاعر المهجري شفيق المعلوف في مقدمة الطبعة الثانية لمطولته « عبقر » التي صدرت عن البرازيل عـــام ١٩٤٩ ، والتي استحقت ان تكون بين المراجع الهامة التـي استعان بها الاستاذ الحوت . وقد كانت هذه المقدمة ، حتى صدور كتاب الاستاذ الحوت ، اوسع مرجع عربي واوفاه واغزره مادة في موضوع الاساطير والعـــادات العربيــة الجاهلية ، وقد جاءت في (١٤٠) صفحة من القطع الكبير . فلما جاء كتاب الاستاذ الحوت اصبحا معا اهم مرجعين في الموضوع .

ولقد توسع محمود في بحثه اكثر مما توسع شفيق ، ولذلك جاء كتابه (في طريق الميثولوجيا عند العرب) ــ وقد سبق ان نشره فصولا متتابعة في مجلة الاديب خـــلال السنوات الماضية ــ اوسع من بحث شفيق المعلوف واوفى واحفل بالمواد الاسطورية والمعتقدات الدينيـــة . ولست اشك في انه سيلقى اهتماما كبيرا في اوساط المستشرقين ، والمهتمين بالابحاث العلمية والاسطورية . فعسى ان ينال ما يستحق من العناية والاهتمام في اوساطنا الادبية ومعاهدنا العلمية ، فهو من اجدر المؤلفات بالتقدير .

الاردن ــ عمان **عيسى الناعوري**

فن القصـة

للدكتور محمد يوسف نجم ــ ١٨٥ صفحة ــ دار بيروت

هـذا كتاب يحترم كاتبه عقل قارئه . ليس الكتاب ترجمة ونقلا ، وليس خلقا وابداعا ، ولكنه عرض لفن القصة اعتمد فيه كاتبه على ما توصل اليه نقاد الغرب . واذا عدت الى المصادر والمراجع التي استقى منها الدكتور نجم ، فلن تجدها كلها في كتاب واحد ، بل ستجدها فيها جميعا ، وهذه هي ميزة الكتاب الاولى . ان تلك الكتب قد تناولت فن القصة من زوايا معينة ، فجاء المؤلف وعرض في كتابه هذه النظرات والمفاهيم . وميزة اخرى لهذا الكتاب ، هي ان مؤلفه احاله الى دراسة حية بالنسبة للقارىء العربي ، وذلك عندما جعل القصة العربية الحديثة جزءا من بحثه ، فاخضع مشاهير كتاب القصة العربية لهذه الدراسة .

قسم الكاتب بحثه الى بابين رئيسيين هما القصــة والقارىء ، ثم القصة والكاتب . وفي الباب الاول عرض لماهية القصة وللعناصر السائدة فيها . وفي فصل القارىء وحوادث القصة تحدث عن وحدة الحادثة والحياة والعمل القصصي وناقش مناقشة معجبة التشويق الذي ياتي على صور كثيرة ، عميقا ساميا احيانا كجين اوستن في « الكبرياء والهوى » وخدعة رخيصة كما في قصص جورجي زيدان التاريخية . والمهم في فن القصة ان على الكاتب ان يقدم للقارىء صورة صادقة للحياة الانسانية ، وتظهر قيمة القاص في عمقه وتوغله في صميم التجربة التي يحاول ان يصورها .

اما في الباب الثاني فقد بحث اولا في الحبكة ثم في القيم . وفي الحبكة تحـدث عن انواعها وطـــرق عرض الحوادث وطريقة الكتاب في رسم الشخصيات . وفـي اسلوب القصة عرض للحوار وقال انه يجب ان يكون مناسبا للشخصية والموقف ، وهذا قاده الى مناقشة استعمال اللغة العامية في الحوار . نحن نتطلب من القاص ان يقدم لنـــا صورة صادقة للحياة الانسانية ، وهذا الصدق جعل بعض الكتاب يصورون لنا شخصياتهم في مجالاتهـا النفسيــة الواقعية ، ولكن صعوبة هذا الصدق تظهر في صعوبة ، بل واستحالة ، تصور نفسيـــة الشخصية عندمـــا تتحـدث بالعامية العراقية مثلا . ولو فرضنا اننا استطعنا فهم مـــا تتحدث به هذه الشخصية ، الا ان الفهم وحده لا يكفـي

هنا ، لان للكلمات رنينا ووقعا خاصا وصدى معينا في النفس ، لا يدركها الا من عاش تلك الحياة . . . وهنا المشكلة .

وعند قراءة القصة قراءة واعية نأخذ في تقويم الكاتب ، فننظر الى اتساع طاقاته وضيقها ، واتجاهه في كل انفعال ، وطريقة تفسيره للحياة ، ونقده لها وفلسفته فيها ، ويهمنا هنا صدقه واخلاصه وانسانيته . وقد وقف الكاتب وقفة طويلة عند معنى الانسانية عند ت. س. اليوت ، وهي وقفة ليست في رأينا في صميم موضوع كتاب يعرض لشتى مشاكل فن القصة ، بل هي وقفة جديرة بالابحاث المفردة المستقلة . وناقش مشكلة الالتزام في الادب ، وهي قضية جعلت منها المحافل الادبية في المدة الاخيرة مشكلة ، وهي ليست في حقيقتها مشكلة . ان الالتزام في الفن يعني التزام الفنان الصدق في التعبير عن وقع هذا الكون على وجدانه ، وغير هذا الالتزام يخرج من باب الادب . والواقع ينكر دعوة من يعنون بالالتزام ان يكون الاديب داعية ، لما يتصف به مثل هذا النتاج من برود .

وتناول الكاتب انواع القصص فاسهب في الحديث عنها ، الا انه لم يحقق لي رغبة في نفسي وهي الوقوف عند قصة الشخصيات ، وبيان قيمة هذا الاتجاه الذي نلمسه في يوليسيز لجيمس جويس ومسز دالوي لفرجينيا ولف . وقد الحق المؤلف بدراسته فهارس جاءت على احدث وادق المناهج العلمية .

وبعد ، فانا لنرجو ان يكثر في النتاج العربي ما يغري القارىء بان يقول للمحسن احسنت .

الكويت — **محمود السمره**

رجال وظلال

لمير بصري — ١٦٠ صفحة — شركة التجارة والطباعة بغداد

قيل عن الشاعر الانكليزي المعاصر همبرت وولف الذي تولى سكرتيرية وزارة التموين البريطانية في اثناء الحرب العالمية الثانية انه كتب انظمة التموين شعرا منثورا حلو الجرس والايقاع . ويمكن القول ان مير بصري الشاعر الاديب العراقي المعروف وصاحب المكانة المرموقة في عالم الاقتصاد يكتب مقالاته الاقتصادية شعرا منثورا وحتى منظوما ، وشواهد ذلك كثيرة في كتابه « مباحث في الاقتصاد العراقي » و « مجلة غرفة تجارة بغداد » التي تولى تحريرها ثماني سنوات وسائر تآليفه .

اصدر الاستاذ مير بصري اخيرا مجموعة قصص وصور قلمية بعنوان « رجال وظلال » ضمت نحوا من عشرين اقصوصة وقدم لها ثلاثة من اصدقائه هم : الاستاذ رفائيل بطي وزير الدعاية والصحافة سابقا ، والاستاذ عباس العزاوي مؤرخ العراق الحديث ، والدكتور مصطفى جواد البحاثة اللغوي الكبير .

تقلد مير بصري مناصب مختلفة لم تمنعه جميعها من قرض الشعر ومزاولة الادب : فقد كان سكرتيرا لوزارة الخارجية ووكيلا لمدير التشريفات ، ومديرا لغرفة تجارة بغداد ، ومديرا للتجارة والدعاية ومعاونا لمدير جمعية التمور العام ، كما اضطلع بتمثيل العراق في مؤتمرات ومعارض تجارية في العالمين القديم والجديد . وقد شغل عضوية لجان وهيئات اقتصادية متعددة ، ولبحوثه وآرائه الاقتصادية وزن في المحافل العراقية من رسمية وصحافية

كتب مير بصري في القصة والنقد الادبي والموازنة بين الآداب الافرنجية والعربية والتراجم وغير ذلك . وهو شاعر مجدد رقيق « أليس هو القائل من قصيدة » :

بليت ليالي الحب في احلامها ... ونفوسنا ظمأى الى الاحلام
نختال في روض الحياة ، وزهره ... رطب الثغور معطر الاكمام
ونصوغ من نسج الخيال هناءنا ... ولحوننا من معدن الالهام
ولقد تراودنا الحقيقة لحظة ... فنؤوب بالاطياف والاوهام
ونسائل القلب الشجي عن الهوى ، ... والروح سكرى فتنة وهيام
ونعب من كأس الغرام ، فيالها ... كأسا ثمالتها مزيد اوام !..

وهو القائل :

أين الليالي الوادعات وسحرها ... وصباحها المتعثر المتكتم
يمشي الهوينا في السماء كأنه ... لص يباغته الضياء فيحجم...

هذا الشاعر الذي تغنى بالحب شعرا ونثرا نراه قلما يأخذ الحب موضوعا لقصصه . وليس ذلك غريبا على من قال :

فتنوا بالحب ، ما الحب سوى ... متعة ترمي الى حفظ الحياة
وتغنوا بوصال ونوى ... وجوى ، ان تلك الا كلمات ؟
ليت شعري اي فرق في الهوى ... بين انسان وادنى الحشرات ؟
فدعوا الشوق واشجان الغرام
واتركوا الوجد وأوصاب الهيام
وانشدوا نورا يضيء الظلمات !

فقصص « رجال وظلال » التي يدور محورها حول الحب معدودة ، في حين ان معظم القصص تتناول المشاكل الحيوية والمعاشية او مجرد فكرة يعمل فيها المؤلف قلمه .

لقد اعتبر رفائيل بطي في مقدمته قصص مير بصري فتحا جديدا في القصة العراقية : فاذا كانت بعض هذه القصص تطغى عليها الصبغة المحلية العراقية او العربية ، فان اكثرها قد خرج على الحدود الاقليمية فجاء قصصا انسانيا لا يتقيد بزمان ولا بمكان . ومن امثلة القصص العراقية في المجموعة « قصة شاب من شباب العصر » و « ياسر » و « نداء الارض » ، وكلها يعالج مشاكل محلية كاصلاح القرية وتفاعل المثقفين في البيئة المتأخرة بعد الدراسة في الخارج والهجرة من الارياف الخ . اما القصص الاخرى فواسعة الآفاق ، مترامية الاطراف ، تمتد مسارحها من الصين والادغال الافريقية الى باريس وبروكسيل والبلاجات الانيقة ... وعلى ذكر الصين لا بد من القول ان القصة الاولى (الحكيم الصيني) قلما ينطبق عليها تعريف

القصة في مفهومها الحديث ، وهي اقرب الى الاسطورة .

قال بوفون : ـ « الاسلوب هو الرجل » وهذا القول ينطبق على قصصينا في شعره ونثره ، في كتاباته الادبية والاقتصادية . وها هي ذي قصصه تمتاز باسلوب رائع يكاد يكون « علامة فارقة » للكاتب . فلنستمع اليه يصف خوالج اديب فاشل مقدم على الانتحار (قصة الرجل الذي لم ينتظر) او مشاعر الفلاح العائد الى الارض (نداء الارض) الخ . . . فاننا نكاد نلمس المشاهد التي يرسمها لمس اليد .

وهو احيانا يسهب في الوصف ويتمهل في رسم مشاهده فتبدو كالشريط السينمائي الذي خففت سرعة عرضه (راجع وصف استقبال الابوين لابنهما في محطة القطار « قصة ياسر » صفحة ٥٠ مثلا ، وكذلك وصف عودة المنفي الى وطنه في قصة « العودة » صفحة ٦٣ ، ووصف هجوم الثور في قصة « النقمة » صفحة ١٣٣ الخ .) ومن القصص ما كتبت جميعها شعرا منثورا (النقمة ، انتقام الزوجة ، الخ .)

ويستخدم مير بصري قصصه لبث آرائه ، فبعض القصص تزخر بالحكم والافكار (الرجل الذي لم ينتظر ـ قصة شاب من شبان العصر ـ نداء الحب الخ .) وهو يتلفت في طريقه لينظر الى الحياة فيقول : ـ « ان الحكمة الحقيقية هي التي تشعر بها النفوس ولا تنطق بها الشفاه ! » (الحكيم الصيني) ويقول : « ليست العظمة ذلك النبت النادر الذي لا يزكو الا في الفصل المؤاتي والتربة الملائمة وان المرء ليملك ان يكون عظيما متى شاء وانيما كان ! » (قصة شاب من شباب العصر) . ويقول : ـ « اني اذا جردت انسانيتي من الضعة فقد جردتها من العظمة ، واذا نفيت من صفاتها البغض والحقد والضعف والبشاعة فقد نفيت عنها الحب والحلم والقوة والجمال . ولو جردتها من عواطفها واميالها لكنت قد سلبتها حياتها ، فلم ترتفع عندئذ الى مراتب الآلهة بل استحالت جمادا فاقد الشعور ! » (نداء الحب) ويقول : « ان تصميم عشرين سنة لا تبدده كلمة من امرأة ! » (الحب الاول) . . .

ومن ابتكارات الاستاذ مير بصري الفنية انه لا ينهي قصته احيانا بل يكتفي بعرض النهاية المحتملة ويترك للقارىء مهمة تصور الخاتمة ان سلبا وان ايجابا . ونسوق مثالا لذلك قصة « نداء الحب » : ـ لقد تلقى الطبيب الشاب الذي انزوى في قرية افريقية نائية على اثر اخفاقه في الحب رسالة برقية من حبيبته ليعود اليها ، فهل يعود ام يبقى في عزلته متفرغا لبحوثه الطبية ؟ ان القصاص لا يجيب على هذا السؤال بل يكتفي بتحليل العواطف المناقضة التي تتجاذب نفس الطبيب الشاب ، فيشرح العوامل التي تدعوه الى تلبية نداء الحب وتلك التي تدفع به الى البقاء في مكانه ورد جفاء المحبوبة السابق بمثله . وتختتم القصة مبتورة هكذا : ـ « لقد نادته حبيبة القلب من وراء البحار ، فهل يصم اذنيه ام هل يلبي النداء ؟ . . . »

ويتناول مير بصري احيانا في قصصه عقدة تافهة كضياع اوراق وشهادات (الوثائق المفقودة) او البحث عن حذاء (الحذاء العزيز) فيهولها ويضخمها ويستخرج منها قصة لطيفة تكفي لرقف انفاس القارىء المتشوق حتى يصل الى الحل الذي يفض المشكلة . . .

وبعد فان كتاب « رجال وظلال » من الكتب الرائعة التي اخذت محلها في مكتبة القصة العربية الحديثة .

بغداد **مجيد صابر**

ليسانس آداب من السوربون

تدريس اللغات الحديثة

The teaching of Modern Languages

منشورات اليونسكو ـ ٢٩٥ صفحة ـ باللغة الانجليزية

اللغة مفتاح لا غنى عنه لفهم شعب او غيره من الشعوب والانسان الذي يجيد لغة ثانية يشعر بالطمانينة بين شعب آخر . اما الانسان الذي لم يرفع حجاب اللغة فهو لا يدرك ان هناك طريقة حياة تختلف عن طريقته .

وقد اصدرت اليونسكو اخيرا كتابا يقع في ٢٩٥ صفحة بعنوان « تدريس اللغات الحديثة » ، وهو مجموعة لابحاث اعدت لمؤتمر دولي نظمته اليونسكو في سيلان في اغسطس ١٩٥٣ . وكان موضوع المناقشة ، التي اشترك فيها ٤٩ عالما من ١٨ دولة خلال اربعة اسابيع ، هو ما يمكن ان يقدمه تدريس اللغات الحديثة في سبيل اعداد الشعوب للحياة في مجتمع عالمي .

والكتاب تتمة للعمل الذي تحقق في المؤتمر حيث اجمع المشتركون على ان افضل طريقة لاعداد طلاب اللغة للحياة في العالم اليوم هي تحسين طرق تدريس اللغة كوسيلة للتفاهم دون اغفال القيم الانسانية في طرق التعليم التقليدية . ان التوتر الذي تتميز به العلاقات بين الشعوب يزيد من اهمية تصور اللغة كوسيلة للتفاهم . ويتطلب هذا اعادة النظر في الاسس النفسية لتعليم اللغة ، وطرقه ، واستخدام الوسائل الآلية والالكترونية المساعدة ، كما يتطلب اعادة فحص الطرق القويمة لتقدير نتائج التعليم ، واعداد معلمين مؤهلين .

وكتاب اليونسكو الجديد ، ينهج في تخطيطه ومادته نهج مؤتمر سيلان فالفصول الستة الاول تساير الموضوعات العامة التي نوقشت في الاجتماع وهي : الناحية الانسانية في تدريس اللغات الحديثة ، وتدريس اللغات الحديثة كوسيلة لفهم الحضارات والشعوب الاخرى ، ومنهج تعليم اللغة ، والوسائل البصرية السمعية والنواحي النفسية ، وتدريب المعلمين . وتتناول الفصول الستة الاخرى موضوعات هي : الكتب المقررة ، واستخدام الراديو والتلفزيون . والتعليم في المدارس الابتدائية ، والوسائل المساعدة الخاصة للتفاهم الدولي ، وتعليم المهاجرين البالغين، وبعض المشاكل الخاصة بالتعليم .

ويبدأ كل فصل بتقديم موجز للموضوع يلخص الاراء التي عرضت في المؤتمر . وقد اعد المجلد سكرتارية اليونسكو بالتعاون مع الاستاذ تيودور اندرسون ، من جامعة ييل .



ليلة مع زولا

عاش اميل زولا في اواخر القرن التاسع عشر اي في عصر شاهد ازدهار العلوم الطبيعية وشاعت فيه الطريقة العلمية القائمة على تجرد الباحث من ميوله واهوائه الشخصية ، وخضوعه المطلق للواقع المحسوس ، واقباله على دراسة الحياة دراسة تسجل الظواهر على علاتهــا ، وتنفذ اليها بواسطة الملاحظة والتجربة والاستقراء .

هذه الطريقة العلمية لم تدع اي سلطان لبحوث مـا وراء الطبيعة بل كانت تحارب هذه البحوث ، وتخشى منها على الفكر الحر ، وتحاول ان تتجه بالعقل البشري نحـو الحقائق الملموسة ومعالجة الظواهر الطبيعية على اعتبـار انها القوى الوحيدة التي يشعر الانسان بآثارها في حياته اليومية ، والتي ينبغي ان يسدد جهوده لدراستها وفحصها، بغية كشف الستر عنها ، وتسخيرها لمصلحة الناس جميعا .

وكما حارب هذا الاتجاه العلمي بحوث ما وراء الطبيعة وعدها اوهاما خليقة بمفكري العصور الوسطى ، فقدتبرم والشعر ، واعتقدوا ان الاخيلة والعواطف اوهام غادرة لذيذة الجامح على الادب ولا سيما على فن القصة .

وهكذا تأثر القصصيون بالعلم ، واوجسوا من الخيال والشعر ، واعتقدوا ان الاخيلة والعواطف اوهام غادرة لذيذة تشيعها في النفس مختلف الانفعالات الجثمانيةالفسيولوجية المنبعثة من الغرائز الطبيعية المشتركة .

فالغرائز كانت في نظرهم اصل العواطف والافكار ، والانسان كان في عرفهم ملك غرائزه ، وخير دراسة للانسان بل اصدقها واعمقها كانت في اعتبارهم دراسة الغرائز وما تحدثه تلقباتها واطوارها من فواجع او مهازل في حيـاة الفرد والمجموع .

فغرائز الجوع ، والخوف ، والشهـوة الجنسيـة ، والتنافس الاجتماعي ، والصراع من اجل البقاء ، هي الدعائم التي اقام عليها اولئك القصصيون مذهب (الناتورالسم) أي المذهب الطبيعي الذي نادى به وحمل لواءه اميـل زولا

سلطان الغرائز

فاميل زولا يرد الانفعالات جميعا الى سلطان تـلك الغرائز . فاذا ما كافح ابطاله في الحياة فلكي يأكلوا ، واذا ما اجتمعوا في شكل اسرة فلكي يتعاونوا على طرد الخوف والجوع ، واذا ما ارتفعوا في سلم المجتمع فلكي يستزيدوا انفسهم من متاع الدنيا ، واذا ما احبوا واضطرمت عواطفهم فليس ذلك في الغالب الا لغــرض شهوي محض ، واذا مــا عصفت بحياتهم الخطوب وهبت عليهم ريـــح المآسي واستيقظت فيهم عوامل الشر اوالخير فذلك لان الغرائز تضللهم وتلهو بهم وتصب عصارة قواها في اوضـع وارفع احساساتهم على السواء .

فالرغبات المادية الغريزية او الرذائل هي التي تسوقهم من حيث لا يشعرون . وهذه الرغبات القاسية تتمثل في خير ما انتجه زولا من قصص : ان جنون الخمر او « الدلريوم ترمنس » وهو عارض جثماني محض ، يلعب اكبر دور في قصة (لاسومؤار) ، ويقظة الشهوة في جسد قسيس هو موضوع قصة « هفوة الاب موريه » ، وحياة الدعارة والمرض هي قوام رواية (نانا) ، وانفجار الغريزة الجنسية في نفس امراة شابة حيال دعوة رجل قوي العضل حيواني الاغراء هو موضوع (تيريزراكان) ، وحياة العمال في المناجم وكفاحهم اليومي الشاق ، ويقظة الطبقة الكادحة على الحضارة الصناعية واحساسها بأنها هي التي تخلقها وان من حقها ان تتمتع بنتاجها اسوة بالطبقتين المتوسطة والعالية ، هي مدار الحوادث في قصة (جرمينال) وفي قصص اخرى اعمق فكرا وارفع مستوى .

اي المذهب الطبيعي الذي نادى به وحمل لواءه اميل زولا .

فجميع حوادث هذه القصص وشخصياتها تسبح اما في جو الغرائز واما في جو الصراع المادي الذي تلهبــه نزعات الطموح وبدفع اليه سلطان الغرائز .

فرائحة المادة تنبعث من قصص زولا حــادة تأخــذ بالمخنق ، وتلقي في روع القارىء انه انما يسمع الحياة في هديرها الاول ، ويرى العالم في فوضاه الابدية ، ويشهد الفطرة تسعى على اربع ، وينتقل في غابة كثيفة تمرح في جوانبها الضواري .

رمز الفطرة الحية

فاميل زولا هو اذن مصور الفطرة ، والفطرة نقيض العقل ، والعقل وليد الثقافة والتحضر ، والثقافة تتأرجح بين العرف الاجتماعي وبين التقلب والتشكك الذهني ، فهـي ميزة الطبقة المستنيرة العالية . لهذه الاسباب ينفر زولا من رسم الطبقات المثقفة ، ويرصد جهوده عـلى وصف الشعب ، ويرى في الشعب رمز الفطرة الحية تعمل فـي صراحة وبراءة خارج اسوار العقل والعرف التي يقيمها الفكر والمجتمع في وجه الطبيعة الحرة .

ومن هنا نشأت طريقة زولا الفنية واسلوبه القصصي. فهو يقول : ان الرجل المثقف المستنير متعدد العواطف منوع الافكار ، موزع الميول والاهواء . ينظر في آرائه واحساساته نظرة مراجعة وفحص ، فيحللها ، ويفاضل بينها ، ويحاول ان يردها الى اصولها ، ويظل يخدعه عقله في حقيقـــة

غرائزه حتى تفجأه ثورتها فيبهت ويقاوم او يذهب في النهاية طعمة لها .

هذا الرجل يمثل طبقة ضئيلة خاصة فلكي يجيد القصصي رسمه يجب ان يقتصر في فنه على دراسة طبقة ضئيلة خاصة ، ويجب ان يستعين بالطريقة التحليلية يجزىء بها تلك الآراء والاحساسات المتضاربة مما يولده العقل ولا يرى فيه زولا الرمز الحي لجوهر الطبيعة البشرية .

رجل الشعب

اما رجل الشعب فيمثل السواد الاعظم ، ويعيش اكثر مما يحلم ، ويعمل اكثر مما يفكر ، وياكل ويحب ويغار ويثأر في بساطة الفطرة الصافية الخالدة فلكي يجيد القصصي رسمه عليه ان يكون بسيطا في اسلوبه وتفكيره ووحيه ، بعيدا عن التحليل والتعقيد والابهام وما يغري به الخيال الشعري او الفني من مبالغة ، قريبا الى الواقع المنظور ، متصلا به ، مندمجا فيه ، يعرض تفاصيله عرضا شاملا دقيقا عن طريق الملاحظة الصارمة المجردة .

الملاحظة ! تلك هي الظاهرة الفنية العلمية التي تتمثل فيها عظمة اميل زولا . فهو يختار موضوعه من الاوساط الشعبية او المتوسطة ثم يشرع في جمع الملاحظات الخاصة بهذا الموضوع . يجمعها من البيوت والشوارع والملاهي ومختلف البيئات والاحياء التي سيجعل منها مسرح قصة ثم يدونها في كراسات صغيرة . فاذا ما اعتزم الكتابة اخذ في تنظيم تلك الملاحظات وترتيبها ودسها خلال السطور في الاماكن الصالحة لها بحيث تؤلف وحوادث القصة وحدة رائعة متماسكة .

والغريب في هذا الرجل انه لا يكاد يقف بمشهد من المشاهد ويمضي في رسم اظهر وابسط الوانه حتى تأخذ عينه في الوقت نفسه صورة المشهد كاملة . وكلما كان هذا المشهد عظيما رحيبا تزدحم فيه الشخوص وتصطدم الغرائز ، كان زولا اقدر على وصفه وابرع في تصويره وادنى الى الشعور بحقيقته .

اسراف في الوصف

وانا لا اعرف من بين القصصين من استطاع كزولا ان يصور البشرية تصويرا يفيض قوة وحركة غير تلستوي ، ولكن زولا اقرب الى الحركة المادية الزاخرة من زميله الروسي . فهو يحشد الطوائف الهائلة من عمال وفلاحين وموظفين وغيرهم ، ويأخذ في عرضها وتحريكها كما يحرك القائد جيشه استعدادا للمعركة . فتشعر وانت تطالع القصة ان تلك المجاميع تعج بالحياة ، وان الحياة تصطخب فيها ، وان فوضى الحياة هذه لا تنفي نظامها ولا تخفي عن ابصارك دقائق الصورة وجزئياتها .

ومن اعجب خصائصه ايضا اسرافه الشديد في الوصف . ففي وسعه ان يكتب مائة صفحة مثلا في وصف بستان كما فعل في قصة « هفوة الاب موريه » . فتراه يحصي كل شجرة وثمرة وكل زهرة وورقة ، بل تراه يهز البستان الفسيح هزا فيتألق تحت ريشته كما يتألق تحت شؤبوب المطر . ولكن هذا الجمال الشعري الظاهري المستمد من دقة الملاحظة لا يحدث في القاريء اكثر من شعور مجرد بالاعجاب العقلي . وهذا الشعور نفسه سرعان ما تبدده في بعض القصص الاخرى تلك النزعة المادية الصارخة التي يغلو فيها زولا غلوا تمجه النفس ويأباه الذوق السليم .

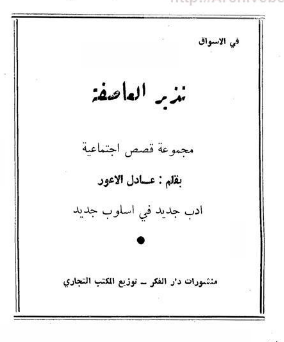
« مزيج يغلي »

ولن انسى ما احسست به عقب مطالعتي قصة « مزيج يغلي » . فلقد ارد زولا ان يرسم فيها امرأة جاءها المخاض وهي وحيدة في غرفتها بسطح منزل . فلم يفكر القصصي في اعطائنا صورة تمتزج فيها الحقيقة بالشعر اي صورة تمجد انبثاق حياة جديدة من احشاء امرأة بل مضى يصف المرأة نفسها ، واعراضها الجثمانية ، ومختلف افرازاتها ، وصفا بلغ من الدقة والهوس المادي حدا أثار في نفسي الاشمئزاز وكره الحياة .

وهذا هو وجه الضعف في فنه .

انه يستشعر قوة الطبيعة الظاهرة ولكنه لا يرى شعر الوجود المستتر خلفها . لا يحس الجمال المعنوي المثالي ، وقل ان نلمح في اعماله اثر تلك الهزة الروحية التي يخلقها الحب الكبير او الرحمة الواسعة او التضحية الخارقة .

انه يصور الشعب ، والشعب انساني النزعة لانه يتعذب ، ولكن الانسانية العميقة لا محل لها في قصص زولا .



لقد رسم قوة الشعب فقط ، اما انسانيته فلا .

ويلوح لي ان عيب زولا الاكبر هو اعتقاده ان ليس لرجل الشعب عواطف مركبة معقدة كما ان ليس له خيال ، وانه لهذا السبب لا يفهم المعنويات ولا يصبو الى الشعر ... ولكن هل هذا صحيح ؟..

قد يكون رجل الشعب ابسط احساسا وادنى الى الفطرة ولكنه مع ذلك يشعر والطبيعة التي تنعكس فيه هي نفسها التي تنعكس في الرجل المثقف . بل هو لفرط اتصاله اليومي بها واستهدافه لطغيان عناصرها وضعفه الاجتماعي حيالها ، اقرب الى الشعور بها كاملة ، مادة وروحا ، من الرجل المثقف البعيد عن ادراك حقائق الحياة المرة لبعده عن العمل اليدوي وامنه غائلة الفقر والجوع .

احساسه بالشعب !

وهذا ما نشعر به اوفى شعور وابلغه في قصص مكسيم جوركي ، وهذا ما ينقص اميل زولا وكلاهما يصور الشعب . اجل كلاهما صور الشعب ولكن زولا كان من ابناء الطبقة المتوسطة فلم يتصل بالشعب اتصالا وثيقا دائما ولم يعرفه حق المعرفة ولم يشاطره آلامه وآماله .

اما جوركي فقد انفق صفوة عمره بين العمال والفلاحين ، وكان هو نفسه عاملا فاستطاع ان يمثل في قصصه روح الشعب صادقة بما فيها من قسوة وطيبة ، ووحشية ومحبة ، وعذاب وتضحية ، وكفاح وتفوق .

ان عظمة البؤس والعمل تكلل جباه ابطاله ، وتضفي على هياكلهم السقيمة الضامرة حلة ساطعة من قداسة ومجد .

فابطال جوركي يكدون ويتعذبون ولكنهم يحتملون عذابهم في ابتسام ساحر وصبر قاهر وعدم اكتراث عجيب . ومن كدهم وعذابهم وصبرهم تلتمع في مخيلاتهم صور مبهمة فاتنة لعالم انساني جديد ، عالم يسوده الاخاء والعدل والرحمة ، عالم تنزع اليه نفوسهم الساذجة المنهوكة بكل ما فيها من حنين الى السعادة ملح مخنوق . انهم يبحثون عن مثل في الحياة اعلى ، مثل روحي هو الطيبة والرحمة والمحبة ، ومثل اجتماعي هو المساواة الاقتصادية الممكنة بين جميع الناس .

وهذا التطلع الى مثل معنوي أعلى هو الذي ينقص زولا ، وهو الذي يجرد معظم ابطاله من شعر الخيال والعاطفة والروح .

انه يصور قوة الشعب وساعده وعضله ، ولكنه يغفل قلبه وحلمه وايمانه .

انه يصور وثبة الشعب لامتلاك قوى الانتاج واسباب الحضارة ، ولكنه يصور الشعب كوحش كاسر ، والوحش لا يمكن ان يستدر عواطف الحب والرحمة لانه لا يمكن ان يبعث في النفوس غير شعور الاعجاب والخوف .

فزولا قد آمن بقوة الشعب ولكنه لفرط امعانه في تصوير غرائزه واغفاله جوهر روحه ، روعنا ولم يحبب الينا الشعب كما حببه الينا مكسيم جوركي .

ومع كل هذا وبرغم النقص الذي اشرنا اليه ، يظل اميل زولا فنانا مجددا عظيما واول وابرع قصصي صور من الشعب جانب الفطرة القوية الحرة ابلغ تمثيل .

وسيظل فوق هذا اكبر زعيم لمذهب خطير من مذاهب الادب ، واستاذ جميع الروائيين الشعبيين بما فيهم تلتستوي ومكسيم جوركي نفسه .

[اخبار اليوم] **ابراهيم المصري**

بطولة نادرة

●

اشهد انه جبار عملاق هذا الرجل صاحب ـ الاديب ـ فقد كافح الاعاصير التي عصفت بالرسالات الادبية في العالم العربي وصمد لها رغم انعدام التشجيع الرسمي ورغم ما لاقاه من حكومات لبنان في عهدها القريب والبعيد وتابع سيره حاملا المشعل الوقاد اربعة عشر حولا ثابت القدم لا يتدنى او يسف في ما يقدمه للاجيال العربية من غذاء ادبي يمتاز بالفكر المدبر والالوان النابضة بالحيوية التي يشع منها النور الهادي الى حياة اسمى وادراك اعمق وانبل لمشاكل الحياة الانسانية .

اننا نكبر في الاستاذ ـ البير اديب ـ هذا الايمان والشمم اللذين عصماه من الانهيار والهزيمة وحفظا عليه شرف نفسه وشرف رسالته . وقد صاحبنا هذا الرجل على بعد الدار صحبة روحية منذ اربع عشرة سنة فكنا نتلهف لوصول مجلته الراقية الى ايدينا وكنا نتابع كفاحه الصامت باعجاب وتقدير ونبتهج لهذه البطولة النادرة في عالم العرب الحاضر التي استطاعت ان تثبت في شموخ حتى اليوم في حين القى الاستاذ الزيات السلاح وودع ـ الرسالة ـ وبارح الميدان وفي حين انطفا مشعل ـ الثقافة ـ و ـ الكاتب المصري ـ و ـ الكتاب ـ وخفت صوت الجماعة ولم يخمد صوت هذا المفرد العلم .

وصلنا هذا الاسبوع العدد الاخير من ـ الاديب ـ فاذا هو سجل علم وادب نفيس يزين جبين الادب العربي الحديث في تثوره وانطلاقه وفي فتوته الواعية وروعته النابضة .

وانا لنتوجه بالشكر والتهنئة الى الاستاذ البير اديب على اجتيازه هذه السنين الطويلة بسلام ونجاح متمنين ان نحتفل بالعيد الفضي لميلاد ـ الاديب ـ.

تونس **((الصباح))**

نشكر للزميلة الزاهرة جريدة الصباح الغراء ولصاحبها الاخ الكريم هذه العاطفة النبيلة التي غمرنا بها فهي خير مكافأة لنا على جهدنا المتواضع . **[الاديب]**

— تتمة المنشور في صفحة ١٢ —

« اتظن انها تحب شخصا آخر ؟ »

فتكدر جدا لذلك وقال بعصبية بادية :

« بالله لا تسألني مثل هذا السؤال . لا استطيع ان اتصورها تحب غيري — ولا اظن ذلك ممكنا . لقد عرفتها منذ سنوات ، وليس حبنا وليد امس . انني لا اشك في اخلاصها لي ابدا ، لانها فتاة عميقة العواطف ، وليس حبها مجرد ملهاة . لقد تطورت علاقتنا في السنة الاخيرة في شكل لن يدع لي مجالا للشك . انها تحبني . غير ان لها حالات نفسية تتقلب بها فيصيبها احيانا غمٌ واسى عميق ، وتزهد في الدنيا ولا ترى فيها الا قطعة كبيرة من القبح . »

— وماذا تفعل انت حينئذ ؟

— احاول ان افرج عنها ، ولكنها تغرق في غمها واساها يوما او يومين ثم تعود ضاحكة مشرقة . لعلك تدري ان امها ماتت عندما كانت هي في العاشرة لقد ترك ذلك في قلبها الما يعاودها بين الحين والآخر .

— اذن لعل هذه فترة فجائية اخرى من الالم يا سليم . ان رباب فتاة ذكية وجميلة : واذا اجتمع الذكاء والجمال في امراة ، فغالبا ما يكون ذلك لمضرتها ، لانها عند ذلك لا تريد الحب فحسب كغيرها من النساء ، بل تريد اشياء اخرى ايضا .

— اظنك مصيبا . انها تريد الحياة باجمعها . تريد الاختبار والتجربة . وشرفنا لا يسمح بمثل هذه الرغبات للنساء .

— ولعل هذا سبب شقائها ؟

— ولكنني لم امانعها في رغبة قط . فانا اريدها امراة طليقة كالريح ، مندفعة كالمياه .

— وهذا سر جمال رباب . ففيها الطلاقة والاندفاع ، ولكن لا بأس من حزن مفاجيء ينضج فيها الادراك والعاطفة .

والله يعلم انني ما قلت ذلك تغطية لجرمي ، بل لانني ارتأيت فيه الصواب لفتاة مثلها لا توجد في كل حي .

فقال سليم :

« غير انني اخشى هذه المرة انها ليست فريسة حزن مفاجيء كما تقول . ولا اكتمك انني مضطرب جدا . اذ لم ارها في بحر يومين او ثلاثة ، فسوف ارابط لها في منزلها الى ان اراها ، واستفسر الامر . »

حينئذ سددت الى عينيه نظرة جمعت فيها ما اوتيت من شجاعة وقلت :

« واذا اكتشفت انها تحب رجلا آخر ، فماذا تعمل؟»

فقال مغضبا :

« بالله كفاك ! انني لا اؤمن بارتكاب جريمة من اجل الحب ، ولكن من يدري ما قد يفعله الانسان في حالة غضب لا يكبح ؟ »

★★★

وغداة اليوم التالي جاءت رباب الى داري ، ووجهها مورد بفعل ريح باردة كانت تهب آنذاك ، واذا بها ضاحكة مستبشرة ، كأنها قد تخلصت من كل تردد او حيرة ، وايقنت ان سعادتها في حبها لي .

ولم استطع ان اقاوم اغراءها . بل انني نسيت ما كنت عزمت عليه في الليلة السابقة من ان اصارحها بوجوب انقطاعها عن زيارتي . فانا اذ رايتها تدخل الدار وتحييني تحية من يعرفني منذ سنوات لا منذ ايام ، لم اجد بدا من ان استسلم للفتنة التي كانت تقطر من حركاتها ولفتاتها ، ولم يبق في ذهني الا فكرة واحدة : ما اطيب حب هذه الفتاة !

وقضينا ذلك اليوم سوية ، بعيدا — كما جرى القول — عن اعين الرقباء . . .

ولما اقبل المساء قالت قد آن لها الذهاب ، ولكن يعز عليها ان تذهب .

فقلت : « اذن ابقي ! »

فاجابت : « لقد عمدت الى خطة فظيعة يا انور . »

— ما هي ؟

— لقد اعددت نفسي للسفر الى بيروت .

— وهل انت ذاهبة ؟

— اود لو تستطيع ان تخفيني في منزلك !

ولم افهم في باديء الامر ما ترمي اليه ، وظننت انها انما تعبر عن رغبة يعسر تحقيقها . غير انها اضافت :

« انني اعني ما اقول . ان كنت تحبني فاسمح لي ان آتي اليك غدا ، فابقى هنا اسبوعين . . . »

— تتمة المنشور في صفحة ٤ —

هؤلاء محرومون من نعمة الاستمتاع بالشعر .

لقد أشرت من قبل الى ان همَّ القاريء المسؤول هو ان يستخلص التجربة من الاثر الفني . ولكن دون هذه الغاية تمرس بصعاب يجفل منها الكثيرون : اولئك الذين يعود اخفاقهم الى ما تعودوه من القراءات الرخوة المتثائبة ، أو من الاستجابات الآلية الجاهزة ؛ او الى ما الفوه في تذوقهم من الانقياد لمشيئة اهوائهم ، ولفوضى التداعي اللامترابط بين خواطرهم . أما التذوّق عند الاكفاء من قراء الشعر فعمليّة اكتشاف ما يعتلج في اعماق الذات الانسانية من الدوافع والرغبات وما يصطرع فيها من التيارات الذهنيّة والعاطفية ؛ وهو مجال انضباط نفسي ينمي حساسية الفرد ، ويقوي طاقته على المشاركة الوجدانية ، ويزوده بالقدرة المنسجمة المنظمة ، على اختبار الحياة، والعيش في وفاق معوجود معقّد متقلب ، متناقض يستلزم مرانه على التكيف السريع ، والاستجابة الناجحة .

ما أشبه تسليم القصيدة بالتسليم هناك على الجلجثة : حدث عظيم يهيج اثارة رومًا ويكون عزاء للمسكونة .

منح خوري

ــ ولكن ... ربــاب ، أخشى أن يوقعنا ذلــك فــي مشاكل ...

ــ ما اجبنكم معشر الرجال ! حتى انت يا انور تخشى ان تجابه الحب وكل ما يتطلبه ... حسنا اذن . سأذهب الى بيروت .

ــ لا بل تأتين هنا ! وسأتخلص من الخادمة العجوز ، فلا يعرف احد بمقرك .

قلت ذلك وشعرت بالدم يتدفق حارا في راسي ، وجعل قلبي يخفق بشدة . فقد احسست بانني انمــا عزمت على امر لا بد ان يوقعني ، بل يوقعنا كلينا ، فــي مأزق لا يحمد . ولكن كيف ارد اغراءها ، وقــد جعلت مسامي نفسها تتشرب صوتها ولمسها ؟

غير ان خاطرا آخر بدا لي فجاة فقلت :

« واذا جاء سليم هنا كدأ به على غير انتظار ؟ »

فقالت بدون تردد :

« سامكث في غرفة النوم الى ان ينصرف ! »

***

وفي صباح اليوم التالي جاءت رباب ومعها حقيبة ثيابها . وكان صباحا قارس البرد ، يلذ فيه الجلوس قرب النار ، وان تكن كهربائية ، وشرب فناجين القهوة مــع الحديث .

ولئن كنت قد دهشت لجراة رباب التي ارادت ان تحطم بها التقاليد ، فقد خشيت اكثر من ذلك على صداقتي لسليم . فبقدر ما تعلقت برباب ، احببت سليما ، ولم اشأ ان اضحي بصداقته . وكلما تذكرت مبلغ تعلقه برباب ، نظرت اليها ، وتساءلت : أهي امراة لا تبالي ، ام انا اسقاط في خلقي اسمح لنفسي بخيانة صديقي ، أم هما الامران معا ؟ ولكن لعل هناك تعليلا آخر ؟

غير ان تساؤلي لم يطل كثيرا ، فانقضت ايام ثلاث كانت هبة من الله ، لم نترك خاطرا من خواطرنا الا وقــد صورناه ، ولا رغبة من رغباتنا الا وقد اطلقنا لها العنان .

وكنا في مساء نخرج للمشي على التــلال فنغوص فــي الاوحال غير آبهين ، نتحدث عــن كــل ما حوته الارض والسماء . وكلما ذكرت تلك الايام الثلاثة التي انقضت كلمح البصر ، اخالني استعرض امام عيني حوادث ومشاعر تكفي لسنوات ثلاث . ما اقل ما تعمر به اكثر سني حياة الناس ازاء ما تزخر به ايام ثلاثة من الحب !

وفي صباح اليوم الرابع اشعلنا نار فحم في كانون نحاسي كبير وضعناه في الاستــوديو ــ ونقلنــا اليــه الغراموفون الاوتوماتيكي ، ووضعت فيه اسطوانات لموسيقى موتسارت ، ورحت ارسم صورة رباب والموسيقى تكتنفنا بمرح لا يوازيه الا مرح الهوى نفسه .

وفيما انا ارسم قلت لها :

« اني ارى فيك يا رباب كل نواحي الجمــال التــي احاول ان اجمعها في كتابي . ففي جسمك قيظ الصيف وبرد الشتاء ، نوار الربيع وفواكه الخريف ... »

فضحكت وقالت :

« ما اسرع ما جعلت مني رمزا ، وتناسيت حقيقتي ! »

ــ بل اني احاول ان اصف حقيقتك ، ولكنها لا توصف الا بالرموز . انت الارض الغنية بالكنوز ، انت البحر فــي الليلة المقمرة ، انت غابة الشعراء ، انت شهوة المراهقين ، انت ضالة الحكماء . انك ملتقى احلامي كلها ... انت الدموع وانت الابتسام . انت نار في ايام البرد ، وطعام في ايام الجوع ...

فرفعت يمناها توقف بها شــلال الفاظي وقالت مستضحكة :

« اجل يا انور انا كل هذه الاشياء معا ، ولكنني ايضا مخلوق ضعيف اخشى الزكام اذا تعرضت الريح ، يصيبني الصداع في بعض الليالي فلا انام ، اكره بعض الناس واود لو اشنقهم لاتخلص منهم ، وتتحرك في صدري شهوات اخجل منها . ان الحقيقة فيها الم كثير . »

ــ ولكنك تقرين بان الالم قد يخلق الجمال ؟

ــ ليته يخلقه فيتلاشى فيه الى الابد .

ــ سيتلاشى الالم ، كما تريدين !

ــ اخشى ان الذي سيتلاشى هو الجمال . أنني مثل اسمي . اتدري ما معنى « رباب » ؟ رباب في اللغة يــا عزيزي ، الغيم الابيض الناعم .

ــ الذي يتبعثر على زرقة السماء في ايام الربيع .

ــ والذي لا يقوى على مقاومة الريح . بل ان النسيم نفسه كاف لان يغير شكله الف مرة في النهار .

ــ اذن تحبينني اليوم وتكرهينني غدا ؟

ــ ان حبك هو الذي يعصف بي كالريح فيغيرني . فانت ــ وسأملأ صدرك الآن غرورا ــ انت كالآلهة تصنع شيئا من لا شيء ، ولا يقر لك قرار دون ان تخلق . هذه صورك كلها حيوات اوجدتها من العدم ، ولعل الحزن يغلب عليها ، ولكن اية حياة تلك التي لم تغمس في الاحزان ؟ بل انك مني انا قد جعلت اشياء كثيرة لم يكن لي عهد بها . ففي ذهنك مئات النماذج تنسخ عنها في ابداعك ، فاذا ما وجدتني انا ــ فتاة ملؤها الغرور ، اسعى وراء لذتي ، انفق المال عن سعة لانني لم اتعب في الحصول عليه ــ حاولت ان تعمل قوة ابداعك في ايضا ، لكي تحولني الى صورة قريبة من نماذج خيالك . فانت في الواقع تحاول ان تخلقني من جديد .

وفي تلك اللحظة بعينها دق جرس الباب اللعين .

فوضعت الريش وطبق الالوان من يــدي متبرما ، وذهبت الى الباب وفتحته . واذا بالطارق سليم ، وقــد قبع في سيارته كلبه الكبير الذي يرافقه في جولاته كلما خرج وحده . فحياني بحرارة ثم انزل كلبه كلاهما معا .

وفي الحال اصابني هلع شديد . فقد تذكرت ما قالــه لي يوم جاءني ضيفا في تلك العاصفة ، من ان ذلــك الكلب

الذي يمشي الهوينا ويبصبص بذنبه تحببا ، بوسعه ان ينقلب بكلمة من سليم الى وحش ضار لا يصعب عليه قتل رجل ...

دخلنا غرفة الجلوس ، وكانت باردة لا نار فيها . فأشار للكلب بان يقبع في الزاوية ثم قال :

« كيف نستطيع الجلوس في هذه الغرفة بدون نار تدفئها ؟ »

فقلت : « لم اكن جالسا هنا . كنت في الاستوديو ارسم ... »

ثم كدت اعض على لساني ندما على ما قلت .

قال : « اود ان ارى ما كنت ترسم . » ومشى في اتجاه الاستديو .

فأوقفته وقد كدت ارتجف وقلت : « لا لا . لا احب ان ينظر احد الى صورة قبل ان تكمل . لانها ما زالت في طور القبح ... اعني انها تكون قبيحة الى ان افرغ منها . »

فوقف وقال : « لا بأس اذن . لم ارك منذ ايام . ولم تحاول ان تتصل بي . وقد ضجرت جـداً وكـرهت الحياة . »

فلم اقل شيئا .

فأردف : « ما لي اراك واجما ؟ انني آسف لمقاطعتي اياك في اثناء تصويرك . اتريدني ان انصرف ما دامت آ .. ربة الفن معك ؟ »

فضحكت لكي اخفي اجفالي من سؤاله الاخير عـن ربة الفن ، وفي ذلك من التورية ما لم يدركه هو ، وقلت :

« لا . لا تنصرف يا سليم . » وبودي لو اقول « اجل بربك انصرف ! »

قال : « بل اذهب ، واعود غدا او بعد غد . » واتجه نحو الباب ، وانهض الكلب .

ثم اردف : « اتدري ان رباب ذهبت الى بيروت ؟ لقد حرت في امر هذه الفتاة . »

« رباب لم تذهب الى بيروت ! »

فالتفت سليم الي ونظر بعينين مشدوهتين وفـم فاغر ، وقد وقفت امامه كالمصعوق .

لقد كان ذلك صوت رباب نفسها ...

دخلت الغرفة وقالت مرة اخرى .

« لم اذهب الى بيروت ، بل كنت هنا . »

فصاح سليم : « رباب ! »

وحاولت ان اتدارك الموقف فقلت :

« بالله لنجلس قليلا ... »

وقالت رباب : « اجل . لنجلس قليلا . » واقتعـدت احد الكراسي .

وبقي سليم واقفا لا يستطيع ان يعلل ما يرى ، وكلبه وراءه يهش ويلوح بذنبه . ثم استمرت رباب قائلة :

« انك تعجب يا سليم لوجودي هنا . »

فقال : « ومتى جئت هنا ؟ »

ـ منذ اربعة ايام .

ـ لماذا لم تخبراني بذلك ؟

ـ كيف نخبرك ، وانا اريد ان اختفي عن العـالم اجمع ؟

فتحول سليم بعينيه الي وقال بصوت ابح مضطرب:

« اتحبها يا انور ؟ »

وشعرت بان عيني تعترفان بحبي فقلت ، وقـد استعددت لمقاومته ، ما دام الامر قد انكشف ، ومقاومـة كلبه الوحشي ايضا :

« لقد وقعت في حب رباب منذ اول لحظة رايتها فيها . »

ـ اذن خنت صداقتي وثقتي فيك .

فقالت رباب :

« لا يا سليم . لم يخن انور صداقتك . بل انـا الذي جئت اليه واغريته على حبي . وانا الذي اقحمت نفسي عليه في منزله اقحاما . لانني احببته . »

فصك سليم باسنانه ، وقد اصفر وجهه وقال :

« ولماذا اذن تريدان مني ان اجلس ؟ »

فقامت رباب وامسكت بيده وقالت :

« بحياتك يا سليم اجلس . ولنقض هذا المشكل معا . لقد احببتك حب عبادة ، وما زلت احبك ... » .

ـ وتحبينه هو ايضا في الوقت نفسه .

ـ اجل . وهو يحبني ، ويحبك ايضا .

ـ ما اجمل هذه المواطف !

فقلت : « لنتعقل قليلا ... هذه الفتاة تحبك منذ زمن . وانت تحبها ، وتريد الزواج منها . وهي ايضـا تحبني ، وحبنا جديد العهد ، واشتهي الزواج منها ... فلمن الحكم في الامر ؟ »

فزمجر سليم : « الحكم لي ! »

فتراجعت رباب وجلست ثانية وقالت :

« الحكم لي انا يا سليم . اذا كان كلاكما يحبني ، فلن يستطيع احدكما اكراهي على حبه . »

واذا بسليم يهدأ قليلا ويتهالك على اقرب مقعد منه. فحذوت حذوه .

وساد الغرفة سكون شامل ، سمعنا فيه رفرفـة الشجرات الثلاث في الهواء خارج الدار .

وتنفست الصعداء عندما رأيت الكلب يقعي عـن قدمي صاحبه .

ثم تكلمت رباب قائلة :

« سليم ، اتحبني ؟ »

فأجاب : « انك تهزأين مني ، لانك تعرفين الجواب . »

ـ انور ، اتحبني ؟

فقلت : « لن يكون جوابي الا كجواب سليم . »

فانتفضت واقفة كان صبرها قد نفد وقالت :

« ألم يحن الوقت لاحدكما ان يسألني مثل هـــذا السؤال ؟ ولكن لا بأس .

انني احبك يا سليم . فانت تمثل لي الرجل المهذب المتمدن . وانا احب المدنية . انني احبك لسلامة ذوقك ، ونبل عاطفتك . انني احبك لانك كريم النفس . لانك لا تتسرع في الحكم على الناس والاشياء . لانك لم تعمــك اموال ابيك عن حب الحياة في الروح عدا الجسد . وانا احب الحياة الروحية . وانا احبك لانك بعيد عن الفقر ، وانا اكره الفقر لانني اخشى آلامه . وآلام الفقر جسدية لا روحية ، ولذا فهي مضيعة للوقت ومفسدة للاعصاب . ولهذا فانا احبك . »

وصمتت رباب .

ثم التفتت نحوي وقالت :

« وانا احبك يا انور . ولكن لاسباب اخرى مختلفة كل الاختلاف . احبك لانك لم تعرف المال ، فلم تعرف التواضع المصطنع . احبك لانك ما زلت بدائيا رغم كـل كتبك هذه ، وانا احب البدائية . احبك لانك عرفت آلام الروح ولكنك انتصرت عليها . احبك لان الروح عندك قطعة من الجسد . احبك لانك كل يوم تجعل مني امراة جديدة ، وتحول كل رغبة في قلبي الى قطعة من الفن . وهذه كلها تدعو الى الحب . »

وصمتت مرة اخرى .

ثم قالت : « ولكن حبي لك يا سليم ليس تاما . ولا حبي لك يا انور . فانت يا سليم تعبدني دون ان تعرف حقيقتي ، وتستعد لان تغفر لي كل نقيصة ما دمت ابادلك الحب . وانت يا انور لا تحاول ان تعرف حقيقتي، فتلبسني اثوابا من خيالك ، وتحب فتاة من خلقك وابداعك بدلا مني. وكلاكما مخطيء .

« وانت يا سليم تخاف اباك لانه اشهر منك ولان مقدراتك في يده . ومع هذا لا تستطيع ان تحرر نفسك من قيوده . ولا اظنني مخطئة اذا قلت انك بدون امواله لن تبرز في المجتمع ابدا . اما انت يا انور فمستقل عن كل رباط ، وتخشى الارتباط بأحد . فانت اناني كغيرك من زملائك الفنانين . ومهما سلمت هواك في يدي فانك في قلبك بعيد جدا عن قبضتي ، تحيا حياتك الوحيدة .

« فانت يا سليم لو تزوجتك ، لاغدقت علي كل ما عندك لكي افعل ما اشاء ، ولتمتعت انت بكل فعل افعلــه وقول انطق به . ولكنك لن تستطيع ان تدخل على حياتي شيئا جديدا من عندك .

« وانت يا انور لو تزوجتك ، لجعلتني كالمشاهد في المسرح تجعل من حبي ذريعة لاظهار مواهبك ، ولن تريد مني الا الاعجاب بكل قول تقوله وفعل تفعله . كل يـوم تأتيني بجديد ، ولكنك ستفرض علي دائما متعة المتفرج ، لا متعة الممثل .

« اذن ايكما اصطفي وايكما اهجر ؟ »

* * *

وهنا سكت محدثي انور كريم . ونظرت اليه بشيء من اللهفة انتظر حكم رباب . غير انه نظر الى ساعته وقال :

« الساعة الرابعة ! لقد تأخرنا ! »

قلت : « ولكن بماذا حكمت رباب بينكما ؟ »

فابتسم وقال : « ماذا تظن ؟ »

قلت : « رفضتكما كليكما ! »

فانطلقت منه لتلك العبارة قهقهة عالية طويلة لـم ادر لها سببا ، حتى ظننت انه قد جن . ولما اعدت سؤالي بعد ان فرغ من ضحكته الغريبة ، قال :

« اتدري اين نحن ذاهبون الآن ؟ »

ــ الى دار الجابي . سليم الجابي .

ــ تماما . وعقيلته السيدة رباب الجابي .

ــ اذن آثرته عليك ؟

ــ لا . بل آثرتني انا .

ــ اذن كيف .

فقاطعني بضحكة عنيفة اخرى وضرب على ظهري متوددا وقال :

« يظهر ان انكلترا زادت من براءتك وجعلتك تصدق ان في الامكان وقوع ما قصصته عليك . . . »

ــ ماذا تعني ؟

ــ يا عزيزي ، ان رباب التي حدثتك عنها مزيــج من اثنتين ، الواحدة حقيقية ، والاخرى خيالية . والحقيقية هي التي ستستقبلنا بحفاوة المضيفة الكريمة بعد لحظات وسوف تجد انها امراة جميلة ولكنها عادية ، عادية جدا . اما الاخرى فهي التي جاءت الي وحدها يوم كنت جالسا اكتب . . .

ــ او لم تكن العاصفة الا من خلق خيالك ؟

ــ كل ما حدثتك به صحيح من بدء العاصفة الى ما قبل الساعة التي جاءت فيها رباب لوحدها الى منزلي . اما البقية ــ او تظن ان فتاة مثل تلك يمكن ان توجد الا في خيالي ؟

« لقد انطلت علي خدعتـــك ، ونسيت انـك كاتب تعيش . . .

فضحكت وقلت :

على نسج الخيال . » وعندها توقف عن المشي لحظة والتفت الي وسألني :

« ولكن لو وجدت رباب الخيالية هذه فعلا ، اتظن انها تؤثر احدا علي ؟ »

فأجبته على الفور قائلا :

« واني لي ان احكم على اهواء امراة من خلــق احلامك ؟ »

بغداد **جبرا ابراهيم جبرا**



١٧ اغسطس ١٩٥٥ ـ غادر الملك سعود طهران عائدا الى الرياض وقد صدر بلاغ مشترك جاء فيه : ان المباحثات التي اجراها رئيسا الدولتين الاسلاميتين قد اسفرت عن انسجام تام في وجهات النظر ولا سيما فيما يتعلق بالضرورة القصوى في تقوية اتحاد الدول الاسلامية .

١٨ ـ انتخب مجلس النواب السوري السيد شكري القوتلي رئيسا للجمهوريةالسورية

ـ وقعت اليونان وبلغاريا اتفاقا لمنع وقوع حوادث الحدود بينهما .

١٩ ـ وقعت حركة تمرد خطيرة بين افراد قوة الدفاع السودانية في القسم الجنوبي من البلاد اسفرت عن مقتل عدد من الشماليين.

ـ اعلن المسيو بيير جولي وزير الشؤون المراكشية والتونسية ان الحكومة الفرنسية قررت فتح مشاورات مباشرة مع زعماء الراي العام المراكشي بما فيهم زعماء حزب الاستقلال الوطني . وقد اعلن هذا النبا على اثر تفاقم الحالة في مراكش .

٢١ ـ اعلن رسميا ان الاتحاد السوفياتي وافق في مذكرة الى حكومة المانيا الغربية على اقتراحات الدكتور اديناور لمناقشة قضية الوحدة الالمانية ومسالةالافراج عن اسرى الحرب الالمان المعتقلين في روسيا .

٢٢ ـ وقعت اشتباكات ومعارك بين القوات الفرنسية والوطنيين في الجزائر ومراكش . وقد قتل الجنرال ريمون ديفال القائدالعام الفرنسي في مراكش اثر سقوط طائرته .

٢٣ ـ اعلن رسميا ان مصر وبريطانيا وافقتا على سحب جميع قواتهما العسكرية من السودان قبل ١٢ نوفمبر المقبل .

٢٥ ـ وصل الى واشنطن وزير خارجية اليابان يرافقه ثمانية من المستشارين لاجراء محادثات مع وزير الخارجية الاميركية .

ـ تواصل المحادثات الفرنسية المراكشية في اكس ليبان وقد اجتمعت اليوم اللجنة الوزارية الخماسية برئاسة ادجار فور رئيس الحكومة الفرنسية بوفد حزب الاستقلال المراكشي الرباعي .

٢٦ ـ ادلى المستر جون فوستر دالس وزير الخارجية الاميركية بخطاب تحدث فيه عن سياسة الولايات المتحدة من قضايا الشرق الادنى فقال ان الولايات المتحدة مستعدة ان تقدم لاسرائيل والدول العربية معاهدة امن اميركية تضمن حدودهما اذا كان الجانبان يرغبان في اقامة سلم دائم وقال يجب على اسرائيل ان تدفع التعويضات الى اللاجئين العرب وان امريكا ترغب في المساعدة على اقامة حدود عادلة ودائمة بين اسرائيل والدول العربية المجاورة .

٢٧ ـ اصدرت وزارة الخارجية البريطانية بيانا اعلنت فيه تأييدها للمشروع الذي عرضه المستر دالس وزير الخارجية الاميركية وذكر البيان ان بريطانيا على استعداد كاميركا للدخول في معاهدات مع الفرقاء المعنيين .

٢٩ ـ تازمت الحالة في قطاع غزة بعد مواصلة المناوشات والقتال بين القوات المصرية والاسرائيلية منذ ستة ايام .

٣٠ ـ طلب الجنرال بيرنز الى كل من الجانبين المصري والاسرائيلي ايقاف النيران في الساعة السادسة من مساء اليوم وقد وافقت الحكومة المصرية على الطلب .

ـ ابلغت بريطانيا سفيري اليونان وتركيا انها تتمسك بالاحتفاظ بجزيرة قبرص ما دامت تبعاتها الدفاعية في الشرق الاوسط قائمة . وتعتبر هذه نتيجة المحادثات الثلاثية بشان قبرص التي جرت في لندن .

٣١ ـ رفضت اليابان الطلب الذي كرره الاتحاد السوفياتي لعقد معاهدة الصلح بين البلدين وهو يقضي باقفال بحر اليابان بوجه السفن الحربية الامريكية والغربية .

اول سبتمبر ١٩٥٥ ـ الف الملك احمد امام اليمن وزارة جديدة نصب نفسه رئيسا عليها واقام مجلسا استشاريا من ستة عشر عضوا لمعاونته على تصريف امورالدولة .

ـ استقال الجنرال بيرون من رئاسة الجمهورية الارجنتينية وقد عم الاضراب المدن حتى يسحب بيرون استقالته .

ـ صدر بلاغ عقب المحادثاتالتي جرت بين وزيريالخارجية الامريكية واليابانية يشير الى اتفاق الدولتين على وضع الشروط التي تمكن اليابان من الاضطلاع بمسؤولية الدفاع عن اراضيها وعلى جعلها قادرة على المساهمة في المحافظة على السلام الدولي والامن في الباسفيك الغربي .

٢ ـ عاد الجنران بيرون عن استقالته .

٣ ـ اعلن عن وجود الجنرال كاترو في مدغسكر موفدا من الحكومة الفرنسية لاجراء محادثات مع سلطان مراكش المبعد .

٥ ـ تسلم السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الجديد سلطاته الدستورية وبذلك انتهت رئاسة السيد هاشم الاتاسي .

ـ وصل الى جدة الملك حسين ملك الاردن في زيارة رسمية للملك سعود .

٦ ـ صرحت وزارة الخارجية البريطانية بان مشاورات تجري بين دول البيان الثلاثي بشأن الحالة في غزة .

ـ قدم السيد صبري العسلي رئيس الوازرة السورية استقالة حكومته .

٧ ـ قامت مظاهرات عدائية في استمبول ضد اليونان وقد وقعت اعتداءات على اليونانيين وممتلكاتهم واعلنت الاحكام العرفية. وكانت المظاهرات تهتف « قبرص تركية » .

٨ ـ قدمت تركيا اعتذارها رسميا لليونان عما اصاب قنصليتها ورعاياها وممتلكاتهم وكنائسهم من حرق وتدمير نتيجة المظاهرات .

ـ وصل الى موسكو المستشار اديناور رئيس حكومة المانيا الغربية في زيارة رسمية.

ـ انعقد مجلس الامن الدولي لبحث قضية الاعتداءات الاخيرة على قطاع غزة وقد وافق على المشروع الذي تقدمت به بريطانيا وامريكا وفرنسا بشأن اتخاذ الاجراءات لمنع تكرر الحوادث .

١٠ ـ عاد الجنرال كاترو الى فرنسا وقد صرح ان السلطان محمد بن يوسف قد وافق على المقترحات الفرنسية التي ستطبق في مراكش كما وافق على اقامة مجلس وصاية .

ـ تم الاتفاق في المحادثات المستمرة في جنيف بين امريكا والصين الشعبية على اعادة ترحيل المدنيين الامريكيين الموقوفين في الصين والرعايا الصينيين الموجودين في امريكا .

١١ ـ اقالت الحكومة التركية ثلاثة جنرالات من مناصبهم وشكلت محاكم عسكرية لمحاكمة ثلاثة الاف متهم باعمال السلب والعنف الاخيرة وقد استقال وزير الداخلية .

١٢ ـ اعلنت مصر انه ينبغي على كل سفينة تود الوصول الى خليج العقبة الحصول على اذن من السلطات المصرية .

١٣ ـ قدم الاستاذ سامي الصلح رئيس الوزارة اللبنانية استقالته .

١٤ ـ الف الاستاذ سعيد الغزي الحكومة السورية الجديدة .

ـ قدم السيد ابن عمار رئيس الوزارة التونسية استقالته .

١٥ ـ عاد المستشار اديناور الى المانيا وقد تقرر اقامة علاقات دبلوماسية بين المانيا والاتحاد السوفياتي عن اسرى الحرب الالمان .

مطبعة العمال اللبنانيين
الحازمية ـ بيروت